

وزارة الثقافة
البيت العام للرواية والكتاب

قصائد مختارة من أشعار رسول حمزاتوف



ترجمة: د. مسح مسح



المكتبة العامة
السورية

قصائد مختارة

من أشعار رسول حمزا توف



المؤسسة العامة
لنشر وطبع الكتب

الإشراف الطباعي

م. ماجد الزهر

قصائد مختارة

من أشعار رسول حمزاتوف



ترجمة :

الدكتور مسوح مسوح

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٠

العنوان الأصلي للكتاب :



المجلس العام
السوري للكتاب

رسول حمزاتوف

رسول الشعر

ولد رسول حمزاتوف عام ١٩٢٣ في «تسادا» وهي قرية من قرى داغستان الراibleة في أحضان جبال القوقاز. كان والده حمزة تسداساً شاعراً، نظم الشعر بلغته القومية، اللغة الأفارية، ونظم الشعر باللغة العربية أيضاً، وأكثر شعره الغزلي نُظم باللغة العربية. ورث رسول حمزاتوف موهبة الشعر عن أبيه، وورث معها موهبةً استوّعت كلَّ حكمة الجبال العملاقة وأساطيرها وبساطتها. عمل معلماً في شبابه، ثم تخرج في «معهد غوركي» للأدب في موسكو عام ١٩٥٠ فتعرف فيه على الشعر العالمي ومدارسه وقوالبه مما أكسبه خبرة خاصة أغنت تجربته من دون أن تُفقد تلك التجربة بكارتها وارتباطها ببلده داغستان وتاريخ صراعه ضد القياصرة ثلاثين عاماً متواصلةً كانت فيها الرصاصة أعز على المقاومة القوقازية من جرعة الماء ورغيف الخبز.

كتب رسول حمزاتوف خلال حياته أكثر من مئة كتاب بلغته القومية (الأفارية) في الشعر والنشر الفني والمقالة... وبرز شاعراً داغستانياً قومياً منذ صدور ديوان الأول عام ١٩٤٣ وكان عنوانه «شعلة الحب ولهيب الكراهية» ثم صدر ديوانه الثاني. «أصداء الحرب» عام ١٩٤٥، ثم تالت مجموعاته الشعرية: «أيتها الأرض يا أرضي» ١٩٤٨، «العام الذي ولدت منه» ١٩٥٠، «كلمة عن الأخ الأكبر» ١٩٥٢، «حوار مع أبي» - ١٩٥٣، «وطن ابن الجبال» - ١٩٥٥، «بنت الجبال» - ١٩٥٨، «قلبي في الجبال» ١٩٥٩، «النجوم العالية» ١٩٦٢، «كتابات» ١٩٦٣، تقول نجمة لنجمة» ١٩٦٤، «السمراء» ١٩٦٦، «عند الموقد» ١٩٦٩، «سبحة السنين» ١٩٧٣، «صونوا أمّهاتكم» ١٩٧٨، ثم «كتاب السونيات» ١٩٨٣، و«ملامح» ١٩٧٨، لتتوالى بعدها إصدارات المختارات والأعمال الكاملة (حتى حين صدورها). نظم حمزاتوف قصيدة شعرية ترجمت في ثمانينيات القرن الماضي إلى العربية، عنوانها «داغستان بلدي» وصدرت من وزارة الثقافة في دمشق.

عاش حمزاتوف يحمل أغنيته أينما ذهب، ويوصي كل إنسان أن يحمل أغنيته معه أينما ذهب، إذ إن حملها لا يشكل عبئاً ثقيلاً، فأغنية الإنسان هي الوطن الذي يغسل ندى صياغه البارد أقدام المتعبين، وتغسل مياه سواديه جياه أبناءه، الأغنية عنده هي

الإنسان ذاته، الإنسان الذي يعيش على هذا الكوكب، إلا أن حمزاتوف لم يعش أرضاً كما عشق أرض بلاده الصغيرة الجبلية التي فتحها العرب في القرن السابع الميلادي وظلت الثقافة العربية تسودها نحو ألف عام، حينها كان شعراء داغستان يكتبون بالعربية، قبل أن تظهر لديهم الكتابة الأفارية... وكانت قصائد شعراء داغستان تتناولها الألسنة شفاهياً، أما الكلمة الشعرية فكانت كلمة من كرس نفسه لمقاومة الطغيان.

خرج رسول حمزاتوف إلى العالم ومعه قيثارة الشاعر المحملة بالألحان الأفارية وتقاليدها، وكانت ينابيعه الشعرية مستقاة من «أبو طالب» و«حمراء تسداسا» وسليمان ستالسكي.. وكان من الطبيعي أن يكون حمزاتوف، كأسلافه من شعراء داغستان الذين نفخوا فيه روحهم، يعظم الإنسان ويحترمه – فالإنسان هو ذاك الجبلي الذي يبني بيته عند أعشاش النسور، ويزرع القمح وي جني العنبر تحت شمس الأعلى. لم تكن أهمية رسول حمزاتوف في التعبير عن حكمة شعبه، لأن أهمية الشاعر – كما يعتقد حمزاتوف – تكمن في أنْ يصوغ الحكمة التي عجنها شعبه. الشاعر عند حمزاتوف هو رسول الشعب وحامل كلمته المقدسة، كما قال في كتابه «داغستان بلدي». ارتقى حمزاتوف إلى مستوى كبار الشعراء ليقف في صفين واحد مع أهم مبدعي

الكلمة في العالم، ومع ذلك ظلَّ محافظاً على نكهته القومية المطعمة بروح إنسانية وفنية عالية، وكان ذلك السمة الأهم من سمات شعريته. إنها موهبةٌ صهرت علمًا واسعاً وعملًا دُؤوباً وموهبةٌ إبداعيةٌ كبيرةٌ تركت بصماتها على التجربة الجمالية والشعرية في العالم، فهو يغوص إلى أعماق الإنسان الداغستاني ليتغنى به على قيثارته الشعرية بنغماتٍ مُطعمةٍ بالفلسفةِ والإحساسِ بالكون، لتصبح قصائدَ تَعْبُرُ الكونَ مكتسبةً كونيتها.

عندما صدرت مجموعة «النجوم العالية» نال حمزاتوف جائزة لينين، وكانت مجموعته تلك مشبعةً بروحٍ شرقيةٍ وبأنفاس الشعراء المشرقيين بدءاً من القرن العاشر وحتى القرن الثامن عشر لكن بعضهم انتقد حمزاتوف، الذي كان حينها عضواً في مجلس السوفيت الأعلى ممثلاً عن شعب داغستان، زاعمين أن شعره مشبّع بفكرٍ سياسيٍ يطغى على الجمالي فيه. وكان ردُّ حمزاتوف: «لأن قصيدي ليس عضواً في الحزب الشيوعي» كان الإنسان هو الشخصية الأبرز في تلك القصائد، بما يحيى به ذلك الإنسان من همومٍ دنيويةٍ وجوديةٍ. وعندما احتفل العالم بميلاد حمزاتوف الستين فاز في روما بجائزة «شعر القرن العشرين» على إبداعاته الشعرية وخاصةً «ناقوس هيرشيمَا» و«صلالة».

عندما نبحث في شعر رسول حمزاتوف لا بدّ لنا من الاعتراف أو لا أنه شاعرين الحقبة السوفيتية، وأنه كان مواطناً في دولة عظمى كان اسمها اتحاد الجمهوريات الاشتراكي السوفيتية الذي ضم قوميات قارب عددها المئة أو تجاوزها، كان لكل منها خصوصيّته وأدبها، وفي السنة العشرين من حكم السلطة السوفيتية كانت الكتب (بما في ذلك كتب الأدب) تصدر بـ ١١٨ لغة من لغاتِ شعوبِ الاتحاد السوفييتي، وتطورت خلال ذلك الأدب القومية بشكل ملحوظ كالأدب الأرمني والجورجي والبلغاري والأكراني... وبعض هذه الأدب لم يكُن يعرف الطباعة والمطبعة واللغة المكتوبة قبل عهد السلطة السوفيتية، كما أن بعض أدباء القوميات التي احتواها الاتحاد السوفييتي نال شهرة واسعة وترجمت أعماله إلى اللغة الروسية وغيرها، وهو ما حدث لشعر رسول حمزاتوف الذي وصلنا بالروسية ولم نعرفه بغيرها. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنَّ أدب الجمهوريات والقوميات السوفيتية خطأ خطواتٍ واسعةٍ في انتشاره وتأثره - أو التزامه - بالواقعية الاشتراكية. وقد أُسهم الاتحاد السوفييتي في تطور أدب شعوبٍ صغيرةٍ لم يكن تعداد سكانها ليتجاوز المليون نسمة، منها الشعب الداغستانى الذي كان أبناؤه يتوزعون على سبع لغات. يشير جلال فاروق الشريف في دراسته

التاريخية والتحليلية الموجزة عن الأدب السوفييتي إلى أن نقاد الأدب يقسمون الأدب الوطنية في الاتحاد إلى ثلاثة مجموعات؛ تضم المجموعة الأولى الأدب التي تقترب من الأدب الروسي من حيث درجة تطورها وأشكالها وتقاليدها كالأدب الأكراني والليتواني والآستوني... وهي أدب من النمط الأوروبي... أما المجموعة الثانية فتضم النموذج المختلط. ويسطير. الشعر والأشكال الأدبية الذاتية على أدب هذه المجموعة... ولم يظهر النثر في هذه المجموعة إلاً متأخراً، وهي تخضع لتأثير الشعر الشعبي غير المكتوب والفلكلور تأثيراً مباشراً.. ويمكن أن يدخل في عداد هذه المجموعة الثانية الأدب التركماني والأزبكي والказاخي والقيرغيزي وجزء كبير من الأدب الداغستانى... أما المجموعة الثالثة فيمكن أن تصنف فيها أدب القبائل والسكان نصف الحضريين الذين لم تكن لهم لغة مكتوبة... وكان الأدب الشفوي الشكل الوحيد من الإبداع الأدبي المسيطر على الحياة. لكن تحول لغة شعوب هذه المجموعة إلى لغة مكتوبة والانتشار السريع للتعليم أدى إلى ظهور جميع الأشكال الأدبية الأوروبية فيها. إن تقسيم الأدب السوفييتي إلى هذه المجموعات الثلاث هو بطبيعة الحال مسائل اصطلاحية. وما تشتراك فيه الأدب جميعاً هو أنها تسعى إلى خلق البطل الإيجابي الجديد - وإلى رسم

صورة الواقع بكل تناقضاته. إنها آداب متعددة من حيث الشكل، لكنها تكاد في مجموعها تلتزم بمنهج الواقعية الاشتراكية. إلا أن رسول حمزاتوف يستعصي، على كل تلك التصنيفات في مجموعات أو مدارس أو مذاهب، ولم يكن ليشعر بضيق أو زحمة وهو بين هذه المجموعات الملزمة بالواقعية الاشتراكية أو بغيرها، لأن حيوية موهبته جعلت شعره يخترق الحواجز التي تقيّمها أو تتجه من قولاب أو حُجب أو موانع، وكان هذا بادياً بوضوح في نظرته إلى الكون وفي رؤيته الجمالية. ويمكن أن يُفسّر ذلك أولاً لأن حمزاتوف لم يكن شاعراً «عادياً» ولم يكن واحداً من الشعراء النّظاميين الذين لا علاقة لهم بالإبداع، بل كان مبدعاً حقيقةً ومفكراً يحمل روح الحكم والفلسفة وشاعراً يمتلك قدرة تحليلية وإدراكاً عميقاً للعالم وما يجري فيه من أحداث. كان رسول حمزاتوف في وعي جمهوره شاعراً مرجاً محباً للحياة، حتى إن شاعر لاتفيا «إلوارد ميجيلاتس» وصفه بأنه «المتقائل الصلب إذ إن حمزاتوف ليس مقائلاً وربما بل حديديّ».

كانت موضوعات «المجتمع والفرد» و «الدولة والإنسان» من الموضوعات الملحة التي لا تغيب عن ذهن حمزاتوف. ويرى كثير من النقاد والدارسين أن شعر حمزاتوف يشكل كتاباً كلياً يجمع بين دفّيه ثنائياتٍ تكشف جوهر الإنسان:

الحكمة / الشجاعة، الحب / الكراهة، الألم / الفرح، الدعاء / اللعنة، الراحة / العذاب، الحقيقة / الزيف، الآنية / الأبدية. وهي ثنائيات تشير بجلاء إلى أن هم حمزاتوف الأول كان الكشف عن ماهية الإنسان وروحه.

عاش رسول حمزاتوف أيامه الأخيرة في ماختشكايا («محج قلعة» أو «قلعة المحج») عاصمة داغستان وسكن فيها في بيت صغير مثل أيّ رجل بسيط يحب المرح والحكمة والنبل. ثم تزايّدت عليه - بعد أن قارب الثمانين - وطأه مرض عصبي أصابه بالرُّعاش... قال قبيل وفاته: «ظَهَرَ في روسيا الآن ما سَمُّوه بالسوق؛ صارت البندورة أغلى من البشر، وصار بالإمكان شراء كل شيء الضمير والبطولة، والموهبة والجمال، الأرض والألم... كلها صارت سلعاً... وتبذلت مواقف كثرين... يمكن للمرء في الواقع أن يُبَدِّل قُبَّعَتَه، لكن لا يمكن لرجل شريف أن يُبَدِّل رأسه». كان «حمزاتوف يسخر من كل أشكال العظمة ويقول الحمد لله أن أحداً لا يقول لي. أنت عقري، لأن العاقرة هم أولئك الذين يفعلون ما يعجز الناس عنه فعله». وقبل أن يُتَوَفَّى عام ٢٠٠٣ قال: «حياتي كلها كانت مسَوَّدةٌ كُنْتُ أَتَمْنِي لو امتلكت الوقت لتصحيحها، إنها مسَوَّدةٌ كُلُّ ما فيها ينضح حكمةً ومحبةً.

الترجمة قراءةٌ جديدة لنص لم يعد جديداً ما دمنا قد شرعنا في ترجمته. وكل قراءة جديدة لا بد من أن تصدر عن قارئٍ جديد

يصير مترجماً في حالتنا هذه. وكل قراءة تَوُلُّ إلى ترجمةٍ لمختاراتٍ تبدأ من سؤال: ماذا نختار؟ و اختيار هذا المترجم لافتٌ للنظر، إذ يبدو لنا واضحاً أنه انطلق من قراءة الأعمال الكاملة لرسول حمزاتوف؛ وطبعاتها بالروسية كثيرة، أمّا المختارات فهي أكثر. لكن المترجم لم يلْجأ إلى المختارات بالروسية لأنَّ الاختيار فيها يقوم على دوافع أخرى، أيديولوجية وتربوية وقومية وغير ذلك، غالباً ما تعد لطلبة المدارس والجامعات، لذا وجدنا فارقاً بين ما تحويه تلك المختارات وما اختاره مترجم هذا المخطوط مما ينْمُ عن ذوق جمالي ومعرفةٍ بيئيةٍ بعالمِ داغستان وخطابِ حكيمها رسول حمزاتوف، الحكمة مرجعُ أولٍ في شعره، تهيمن مع الشعريَّة Poetics على كل المكونات الأخرى من أيديولوجية وتربوية وتعلمية وما شاكل ذلك، فقدَّمت المختارات لنا شاعرَ قومِِ الحكيم، الذي فارقَ المَحْلَية إلى الكونية فصار شاعرَ قَرْنَهِ هذا إذا أردنا الحديث عن الزائر الأول في هذه الترجمة وهو المختارات. لنتأمل عنواناتها أو لاً قبل أن ننتقل إلى الترجمةِ (الصنعة / الفن / اللغة).

- عندما أجوب العالم البعيد (وهو ترجمة دقة للسطر الشعري الأول في القصيدة).

- لكلَّ إنسانِ يومٍ ولَدَ فيه (وهي ترجمة شعرية للسطر الشعري الأول ذاتُ عن الحرفة. لأنَّ الترجمة الحرفة

لذاك السطر: «لا وجود لإنسان ليس لديه يوم ميلاد» وهي ترجمة سعت إلى التوافق مع روح النص الأم وشعريته.

- مع أنني لست زنباً..

- لن تجدي منافسة لك أبداً... وهكذا تمضي العنوانات، والعنوان علاقة سيميائية مفتاح للدلالة يقودنا إلى أن المختارات قامت على هيمنة نزعة إنسانية عارمة محاكمة بالحكمة، التي تقول: «أنا رأيت كل شيء» وتنسأّل: «ماذا أستطيع أن أفعل؟» وتغترب «حين لا يوجد قربك صديق مخلص».. وتتذكر «لو لم تُغنِّ لي أمي!» وتجلس «قرب الموقد» متأملاً، وتظل الحرب مائلاً أمامك بamasيها وآلامها وتضحياتها «ها أنا ذا أرى ذلك الجندي ثانية» وقد «غطى الشيب رأس خطيبته» من زمن لم يعد يذكره أحد. ثم ترى للقالق تأتي... ولا تأتي إلا إذا حل السلام» هي لقالق وليس غربان تتبع الجيف.. تطير لقطع دربها الطويل عبر السماء فوق السهوب المتعبة التي لم تعد مغطاة بدماء...»

إن المقارنة الدقيقة بين النص المصدر والنص والهدف تؤكد دقة الترجمة، لكن الدقة ليست كل شيء في نقل النص، إذ لا بد من الحفاظ على روحه في النص الهدف، ومثل هذا الحفاظ لا يتم إلا بمعروفة كاملة بدقائق اللغتين: الأم الأولى والأم الثانية ويخيل لي أن مترجم المخطوط شاعر يعرف دقائق لغته العربية،

ويعرف أيضاً دقائق لغة يخيل لي أنه أحبها وتمثل روحها عندما نقلها إلى عربته. وقد عرف هذا الروح في اللغتين قصدياً وإيحائياً، أسلوبياً وبلاعياً، عرفهما في رهافتهما وشعريتهما، هل المسألة مسألة ذوقٍ؟ لا! إنها مسألة حسٍ جمالي وإبداع وصنعة.

وعلى هذا فقد جاءت لغة الترجمة سليمة لم نعثر فيها على لحنٍ نحوي أو صرفي، ولم نلحظ فيها خللاً أسلوبياً، وكانت سلسة بحث عن اليسر الذي اتسم به شعر حمزاتوف بعيداً عما يسمونه جزالةً ... فجاءت متوافقةً مع روح النص الأصل.

وهناك جانب آخر لا بد من الإشارة إليه، وهو مقاربةُ إيقاع النص ما أمكن ذلك. وإذا اتفقنا أن الإيقاع تكرار لوحداتٍ متساوية يمكن أن تكون صوتية كما يمكن أن تكون نحوية، تكراراً لتركيبِ جمل بصيغٍ متشابهةٍ ينتج عنه إيقاع، وقد سعى المترجم إلى مثل هذا النوع من الإيقاع، نلمس ذلك في كثير من القصائد، نذكر مثلاً:

المطر ينهر أمام النافذة - أفكر بكِ

الثلج يغمر الحديقة ليلاً - أفكر بكِ

الصباح ربيعيٌ في الفجر - أفكر بكِ

الصيف يقرع الباب - أفكر بكِ

هذا هو المقطع الأول، بدأ باسم فعرف بأـل ليكون مبـداً خـبرـهـ حـمـلـةـ فـعـلـيـةـ مـمـاـ شـكـلـ إـيقـاعـاـ رـدـيفـاـ... وـرـتـيـاـ رـتـابـةـ تـتـالـيـ الفـصـولـ الأـرـبـعـةـ: الـخـرـيفـ وـالـشـتـاءـ وـالـرـبـيعـ وـالـصـيفـ، ثـمـ تـتـنـهـيـ الرـتـابـةـ فـيـ المـقـطـعـ الثـانـيـ فـيـتـغـيـرـ التـرـكـيبـ لـيـصـبـ جـمـلـةـ فـعـلـيـةـ تـدـلـ عـلـىـ حـدـثـ:

تعود الطور - أـفـكـرـ بـكـ

تـخـضـرـ الشـجـيـرـاتـ - أـفـكـرـ بـكـ

لـاـ أـقـوـىـ عـلـىـ شـيـءـ - أـفـكـرـ بـكـ

ثـمـ تـأـتـيـ الـقـلـةـ: مـاـ أـظـنـ إـلـاـ أـنـكـ فـتـاةـ طـيـبـةـ

مـادـمـتـ لـيـلـاـ وـنـهـارـاـ أـفـكـرـ بـكـ.

لم يـشـأـ المـتـرـجـمـ أـنـ يـغـيـرـ مـنـ التـوزـيـعـ السـطـرـيـ لـلـقـصـائـدـ حـرـصـاـ مـنـهـ عـلـىـ الـحـفـاظـ عـلـىـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ إـلـيـقـاعـ، وـكـذـلـكـ الـحـفـاظـ عـلـىـ مـاـ نـسـمـيـهـ فـضـاءـ النـصـ.

يمـكـنـ لـأـيـ اـثـنـيـنـ أـنـ يـخـتـلـفـاـ فـيـ دـقـةـ التـرـجـمـةـ إـذـاـ حـصـرـاـ نـفـسـيهـمـاـ فـيـ حـرـقـيـتـهاـ. لـكـنـ التـرـجـمـةـ - كـمـاـ أـعـتـقـدـ وـكـمـاـ تـشـيرـ لـسـانـيـاتـ التـرـجـمـةـ - تـقـوـمـ فـيـ دـقـتـهاـ عـلـىـ مـرـاعـاـتـ نـوـعـيـنـ مـنـ الـعـلـاقـاتـ النـصـيـةـ: عـلـاقـاتـ النـظـمـ وـالـسـيـاقـ (الـسـيـنـتـاـغـمـاتـيـةـ)، وـعـلـاقـاتـ الـاسـتـبـدـالـ (الـبـرـدـغـمـاتـيـةـ)ـ الـتـيـ تـمـكـنـ مـنـ اـخـتـيـارـ وـحدـةـ فـيـ جـدـوـلـ دـلـالـيـ يـفـضـلـهـاـ هـذـاـ المـتـرـجـمـ عـلـىـ غـيرـهـاـ لـيـضـعـهـاـ فـيـ سـيـاقـ نـظـمـةـ

في تركيب انتقامه أيضاً من خيارات عده، وهذا ينقل فنّية الترجمة من حِيزِ دقتها - الذي لا بد منه - إلى حِيزِ شعريتها. وعلى هذا فقد انتقى المترجم - مثلاً - لفظة: (صباح) ولم يأخذ لفظة (فجر) أو (شروق) أو غيرهما من هذا الجدول الاستبدالي... وله الحق في اختياره، وتتبادر الاختيارات وفقاً لتمثيل المترجم روح النص وروح صاحبه مع ما تؤثر فيه ذاته الشعرية.

معرفة عميقه باللغة الروسية وحساسية جمالية انتقلت إلى النص المترجم لتعكس ذاته شعرية عالية تمثلت في اختيار القصائد وفي صوغ الترجمة. وإذا كان القارئ العربي - والسوري خصوصاً - قد تعرف على «داغستان بلدي» فإنّ ما ترجم من شعر لحمزاتوف قبل هذه الترجمة أساء إليه ولم يُحسن، لأن تلك الترجمات لم تنس بتلك الشعرية التي تميز رسول حمزاتوف. وإذا كنا نعتقد جازمين أنّ لا وجود لترجمة تدعى الكمال والأمانة التامة فإنّ هذه الترجمة قاربت الكمال ولامت جلال الشعر، جلال الشرق وبهاء قصائده عند رسول الشعر القادم إلينا من داغستان من جديد في حلّة ناصعة البياض.

وتنقسم هذه الترجمة بسلسة لغتها ونأيّها عن التفّعّر وخلوها من تصرّف المترجم وحشوه لتبقى صافية نقية تنقل روح الشاعر في محاولة لبعث شعرية القصيدة في النص المترجم، وهي محاولة لن تصل إلى الكمال، إذ إن ترجمة الشعر خيانة له، لكن مترجمنا نأيّ بنفسه عن ذلك حين أصاب هدف الإخلاص للقصيدة.

رسول حمزاتوف شاعر القرن والأبد

لذلك النجوم البعيدة
في قبة الكون
طارت
وسوف تطير
مئات المراكب
نحو الفضاء البعيد

يا إليها الناس
يا إليها الناس
أنتم نجوم السماء الفسيحة
كم أتمنى
ولو مرةً
أن أطير إليكم
أطير.

رسول حمزاتوف ...

روما.. مركز الشعر العالمي.. هنا تجلس لجنةٌ مجلّةٌ من أدباءٍ ومتّقّيٍّ روما. يستمرون بإمعانٍ لإبداعٍ شعراً من مختلف أنحاء العالم.. تدرس اللجنة كلّ كلمةٍ مما يوضع أمامها من أشعار مترجمة إلى اللغة الإيطالية دون معرفة مؤلفها ودون وجوده.

وها هو ذا الاحتفال النهائي. يقف رئيس اللجنة ليقرأ أمام الحضور قصائد بعنوانين: صلاة، واحفظوا الأصدقاء، واللقالق. التي تبين أن مؤلفها رسول حمزاتوف. ذو الشهرة العالمية صاحب الأشعار ذات الاهتمامات العالمية.

غالباً ما ألتّقى في روسيا ببعض الناس الذين لا يعرفون شيئاً عن داغستان. حتى أن بعض موظفي مراكز البريد في موسكو يسألونني حين أرسل رسائل إلى داغستان أين تقع هذه وهل هي تابعة لروسيا؟

داغستان البلد الصغير الذي أهدي روسيا والعالم علماء وشعراء وسياسيين ومحاربين وعلماء دين وفنانين وفلاسفة، صاغةً وموسيقيين ومهندسين وأطباء. لقد لمعت شخصية إمام شامل العالم بأصول اللغة العربية والمتّقف الكبير الذي كانت ترافقه حيثما ذهب وحتى خلال حملاته العسكرية مكتبه الكبيرة محملة على ثمانية خيول. لقد كان إلى جانب ذلك قائدًا لحركة التحرر في الحقبة القيصرية، خلال الحرب الفقفاذية الأولى.

كما لمع ويلمع حالياً اسم عظيم آخر من داغستان في مجال الطب هو جراح العظم والمفاصل «إيليزاروف» ذو الشهرة العالمية الذي كان ينتقى من رسول الكثير من الطلبات لمساعدة المرضى الذين يعانون من أمراض مستعصية في عظامهم. لقد طلبت من الدكتور مسوح أن ينقل إلى العربية قصيدة رسول عن هذا الجراح.

لقد لمع اسم رسول حمزاتوف كعلم وشعار ونجمة، كجواز سفر لروسيا السوفيتية وما بعدها. لقد حالفني الحظ أن أكون ولفتره طولية من أصدقائه المقربين. كنت مرات عيده في بيته في «موسكو وماخاتشكالا» كما أنه للأسف نادرًا ما زارني.

حين كنت أدرس الطب في داغستان، نظم رسول وأصدقاؤه من الشعراء أمسيات شعرية رائعة للطلاب. حين أهدينا للشاعر مريولاً ما يرتديه الأطباء قال: لقد أصبح عندي بطاقة دخول لزيارة أصدقائي في المشافي - إذ أنه في تلك الفترة كان الدخول إلى المشفى يستدعي ارتداء المريول الأبيض - ومع أن لا أحد يمنع رسول إلا أنه لم يكن ليخل بقوانين مجتمعه قط.

كان رسول يتعامل مع جميع الناس دون أي تفريق يقدم نفس الاحترام للعامل والفلاح وممثل الحزب والدولة أحب الناس وبادلوه الحب. لم يكن يقسم الناس حسب انتتمائهم القومي أو العرقي أو الديني أو السياسي، بل إلى مضمجرين ومحبي الحياة. لقد التقى خلال حياته كبار زعماء العالم، علماء وسياسيين أدباء وفنانين، كل

اللقاء به ممتعًا دومًا. لقد شغل منصب عضوٍ في مجلس السوفيت الأعلى لربع قرن، كان الناس يقرعون بابه حاملين مطالبهم ليهتم بها. لقد طلب لمرات عديدةٍ مني أن أهتم بعلاج المرضى الذين طالما وجههم إلي، لم أطلب منه شيئاً علمي بانشغاله الدائم.

صدق أن انقطعت فترَّةٌ عن الاتصال به ففاجأني بهاتفه قائلاً: هل نسيت شاعر الشعب الداغستاني؟ لقد كان يحمل هذا اللقب.

سألته يوماً : كيف تجد الوقت لكتابة الشعر رغم انشغالك الدائم؟ قال: أستيقظ مبكراً حين يساعدني الشروق صديقٌ إداعي أن أفكِّر بمحمل نهاري القادم. تزورني الأشعار حين أودع صديقاً مهولاً على خشنته أو حين أرى نظرات العشاق، حين أرى جمال الحياة ومعاناة البشر، حين يهزني جمال امرأة. لقد ترك في آخر رسالةٍ وصيةٍ يقول بها: أيها الداغستانيون احفظوا كرامة داغستانَ والنساء الجميلات.

لقد أهدى لي رسول كل كتبه موقعةً كما أهدى لعديد من أطباء موسكو بناءً على طلبي لقد كان من الصعوبة بمكان الحصول على كتبه في موسكو بالرغم من تكرار طباعتها وعديد نسخها، لقد كانت مطلوبةً جداً.

في أمسياته الشعرية في موسكو كان يتجمع الكثير من المهتمين بأدبه وإداعه، وكان رسول بعد أمسياته يقول لي: ما الذي يدفع الناس لحضور أمسياتي؟ لست جميلاً ولست أجيد الكلام ومن الأفضل لهم قراءة كلماتي من سمعها كما أنه من

الأفضل لهم أن يسمونني من أن يرونني. ربما يأتون لسماع ولو نصف كلمة من الحقيقة.

كنت مرةً في إحدى أمسياته الشعرية في قاعة تشايكوفسكي، كانت تجلس بين الحضور رائدة الفضاء الأولى «فالينتينا تيريشكوفا». تلقى رسول رسالةً قصيرةً من القاعة يسأل أحد الحضور: يا رسول من أين لأشعارك كل هذه العبرية؟. أجاب حالاً: لا تجوز كتابة أشعار سيدة عندما ستقروها أو تسمعها امرأة رائعةً أسطوريةً مثل «فالينتينا تيريشكوفا».

كان رسول محبًّا للحياة يجيد تقييم الجمال والرجلة اعتُبر دوماً مغني الحب والنساء، حتى أن مجموعةً من أشعاره كانت تحت عنوان «دستور الحب» تدخلت في هذه الأشعار النكتة الناعمة مع عبرية الفيلسوف. كان التفاؤل يشع من رسول على الدوام. كنت أحس أن هذا الرجل أتى إلى الحياة ليعيش إلى الأبد. غنى عن الشرف والكرامة، وكان قاسياً أحياناً في إطلاق أحکامه. في آب ١٩٩٩ حين دخلت مجموعةً عالميةً متطرفةً مسلحةً من الشيشان إلى داغستان تحت قيادة الإرهابي المتطرف «باسايف» والأردني «خطاب» أعلن رسول على الملأ: هؤلاء ليسوا برجال.

وبحقِّ فقد اعتبره الناس شاعر «تسادا» أي قريته الصغيرة في جبال داغستان وشاعر الأرض فها هو ذا يصرخ ملأ فمه رافعاً يديه نحو السماء:

كثيراً ما أفكر

أن الأرض كلها وطني ... بيتي
أينما وجدت المعارك والنار ورعد المدافع
يحترق بيتي. يحترق بيتي

لقد تحول بيت رسول في قريته «تسادا» - التي تعني بلغة الشاعر الأفارقة لهبٌ أو شعلة - حيث عاش مع والده الشاعر حمزة وأمه وإخوته إلى متحف يضم بعضاً من آثاره إلى جانب صور الأسرة وبينها صور لأخوه اللذين استشهدوا في الحرب ضد الفاشية.

لقد عانى رسول دوماً من أمراض عدّة إلا أنه لم يكن يُسمع أحداً شكواه، كما أنه لم يدخل المشفى إلا حين كانت تفرض ذلك عليه زوجته فاطمة صديقته الرائعة التي كانت تهتم به دوماً. صدف مرةً حين كان في المشفى أن سأله: كيف صحتك يا رسول فأجاب حالاً: لا يليق أن تكون سليماً في مجتمع مريضٍ، كما لا يجوز إعطاء قيمة عالمية لمرضك الخاص.

حين طلب مني الدكتور مسوح من مدينة حمص في سوريا أن أكتب له مقدمة كتابه «قصائد مختارة من أشعار رسول حمزاتوف» استقبلت هذا الطلب كشرف كبير، وحين بدأت الكتابة أحسست أن الواجب أن أكتب أيضاً كتاباً كبيراً في التأمل والتفكير بحياة هذا الشاعر العظيم بشعره وشخصه، لعل الزمن سيتيح لي تحقيق ذلك.

لقد لفت انتباهي في سوريا اهتمام الناس بالآداب والثقافة وقد سمعت الكثير من الإطراء لكتاب رسول «داعستان بلدي» كما ويدذكر السوريون قدوم رسول إلى سوريا وأمسياته الشعرية في دمشق وحمص وغيرها.

لقد لاقت طباعة كتاب «داعستان بلدي» صعوبات كثيرة في الحقبة السوفيتية إذ إن الكتاب خلا من أي مدح للسلطة، بل اقتصر على تمجيل الشعب الداغستاني وتاريخ بلده. لقد وجد رسول نفسه مضطراً للحصول على الموافقة لطباعة كتابه أن يلتقي مع العديد من قادة الحكومة والحزب ومن بينهم «سوسلوف» الذي قال له: يا رسول زوجتي تحبك فأجاب رسول: وما الذي يمنعكم أنتم من محبتي؟ لقد حاول رسول إتمام كتابه هذا إلا أنه للأسف لم يستطع ذلك.

التحقت في مدينة السويداء في سوريا أحد محبي رسول. قال لي: اشتريت في شبابي خمس نسخ من كتاب داغستان بلدي، أهديت خطيبتي والدها وأخيها وأبن عمها لكل نسخة لعل قراءة رسول تفهمهم معنى الحياة. وحين ولد ابني البكر أسميته رسول. لم يجد حظاً في العيش. توفي بمرض عضال، فما أن رزقت بطفل آخر حتى أسميته رسول أيضاً. وهذا الطفل الآن يعلن أنه عندما سيكبر سيسافر إلى داغستان ليتعرف على بلد رسول حماتوف.

عن إبداع رسول كتب الكثير من الأدباء. تناول حياته وأشعاره العديد من عشاق أدبه. لقد لفت انتباهي تعبير رائع قرأته في مجلة الينابيع حيث أسماه الدكتور مسوح رسول الشعر.

يهم الدكتور مسوح بالشعر والأدب والموسيقى الروسية، فقد نقل إلى العربية الألحان الفارسية للشاعر الروسي المبدع «سيرغي يسينين» وبعضاً من أشعار «آنا أخماتوفا»، وبعض القصص القصيرة لـ «فيكتوريا توکاریفا»، كما نشرت له في المجالات الأدبية قصصاً قصيرة لـ «أنطون تشيكوف» و«فيتشيسلاف بيتسوخ» وغيرهم.

شكراً لصديقي زميل مهنتي واهتماماتي الدكتور مسوح على هذا العمل الكبير الذي يلبي به نداء قلبه. وحتى الآن أنا أعرف أن كتب مسوح تهدى إلى أصدقائه ولا توجد في المكتبات للبيع. كم كان أحرى ببعض المهتمين أن يساعدوا كل عامل في مجال الأدب لنقرب شعوبنا من بعضها.

أريد أخيراً أن أوجه الانتباه إلى غرابة معينة في روسيا الحديثة. ففي مدارس وجامعات روسيا لا يدرّسون إبداع رسول حمزاتوف كما يدرّس بوشكين وليرمانروف وتولستوي ويسينين ونيكراسوف وغيرهم، كما أنهم لا يغدون الأغاني من أشعاره، ولم يُصدر إتحاد الكتاب الروس أي كتاب عنه بعد وفاته، وحالياً يشتهر من الأدب الروسي الكتاب البذيء والأغنية السوقية،

ما يجرح إحساس وشعور كل ذي حسٌ وشعور. تخرج عن هذا القانون أغنية رسول للقلق، التي لا تزال تعتبر صلاة للدفاع عن الوطن وتغنى كل عامٍ بتاريخ ٩ أيار يوم النصر على الفاشية.

في «ماخاتشكا» عاصمة داغستان تعمل لجنة رسول حمزاتوف العالمية وفي كل سنة تسلم جوائز رسول في الكونغرس الذي يقام هناك حيث يشارك به الشعراء من كل أنحاء العالم. وها أنذا أدعو مسوح إلى هذا الكونغرس

أستغلّ هذه الفرصة لأشير إلى أن الأدب العربي كان ينقل سابقاً إلى اللغة الروسية في عهد السلطة السوفيتية. أما الآن فلا يوجد في المكتبات قط نحن الروس مقصرين في هذا ونؤدي أنفسنا بهذا التقصير. أتمنى على السياسيين والمتمولين العرب والروس أن يمولوا نقل إبداع الأدباء العرب إلى اللغة الروسية. إن طريق الشعر أقصر الطرق للتواصل قلوب البشر، والقصص والروايات أهم الدبلوماسيين.

محمد عبد الخبiroوف

موسكو ٢٠٠٨

عندما أجوب العالم البعيد

عندما أجوب العالم البعيد
وأرى حدود الأرض المتنوعة
أفكر بقلق وحزن
أن الناس قدموا إلى الحياة عن طريق الخطأ

ولدوا ليعيشوا مع أهلهم
أتوا إلى الحياة اعتباطاً
حيث يجهل الجميع أسماءهم
حيث لا أحد يسعد لقدومهم

حيث يعني كل منفرداً وحزيناً
حيث لا يلحظ الناس بعضهم بعضاً لأنهم في ضباب
حيث يصلون ويشكون كل واحد
باللغة التي يفهمها وحده

لَكُنْ غَالِبًاً مَا تَقْوِدُنِي قَناعَةً
أَنَّ الْبَشَرَ أَنْتُوا إِلَى الْعَالَمِ مُنْدَفِعِينَ
وَأَصْلَوْهُ لَيْسَ بِسَبَبِ ضَلَالِهِمْ
بَلْ ضَلَوْا بِسَبَبِ قَدْوَمِهِمْ إِلَيْهِ

الطُّرُقَاتِ الْمُتَشَابِكَةِ الْأَحَدَاتِ الْمُرِيعَةِ
تَضَالِّلُهُمْ وَتَقْصُمُ ظَهُورُهُمْ
هَا هُمْ يَصْرُخُونَ لَكُنْ صَرَاخَهُمْ «سَاعِدُونَا»
لَا يَسْمَعُهُمْ مَنْ يَسْتَطِعُ مَسَاعِدَهُمْ

أَصْحَيْحُ أَنْ رُوحَنَا خَالِيَّةً مِنْ ذَكَاءِ
يَكْفِي لِفَهْمِ صَرَاخِ مُسْتَجَدِ قَلْقِ
أَصْحَيْحُ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ «أَسْبِيرَانْتُو»
لِلْكَلْمَاتِ الطَّبِيعَةِ وَكَلْمَاتِ الْحُبِّ؟

تَبْنِي الْبَيْوَتِ فِي مَنَاطِقِ الْجَلِيدِ الدَّائِمِ
وَحِيثُ كَانَتِ الصَّحَرَاءُ نَجْدُ الْحَدَائِقِ
لَمْ تَبْقِ سُوَى طَبَائِعِ الْبَشَرِ
كَمَا كَانَتْ مِنْذَ مِئَةِ قَرْنٍ

* * *

لكل إنسان يوم ولد فيه

لكل إنسان يوم ولد فيه
وهذه حقيقة مثبتة
لقد رأيت النور في أيلول
وولدت أنت في كانون الأول.

لكني قابلت أنساً آخرين
ولدوا مرة ثانية - من جديد
قابلتهم مراراً في «براغ»
وبعضهم من معارفي الشخصيين.

هناك عندهم عادة أو قانون.
حين ينفد طبيب حياة مريض
تعطى وثيقة له
تثبت أنه ولد من جديد.

يقال له ها قد عدت
من ذلك العالم الآخر.
وهذه وثيقة جديدة لك

تثبت هذه الحقيقة.

لكل إنسان يوم ولد فيه

وهذه حقيقة مثبتة

لقد رأيت النور في أيلول

وولدت أنت في كانون الأول.

لكن أحد أيام أيار

لن يكرر ثانيةً أمامي.

حين أحببتي بكلمة واحدة

على سؤال من كلمتين.

وهذه الكلمة حالاً

أصبحت لي مصيراً

يومها وبوضوح النهار

ولدنا وياك من جديد

وعندنا الوثائق الثبوتية

جميع الأغاني التي كتبتها لك

لم أتلها... وفي كل مرة

أضع توقيعي تحتها.

* * *

مع أنني لست زنقاً، ولست ليلاً

مع أنني لست زنقاً، ولست ليلاً
لن يعارض قطفنا يوماً ما
عامل حديقة أبيض اسمه النهار
أو أسود اسمه الليل.

مع أنني لست قمحاً، ولست شعيراً
ليس باستطاعته أن يرحمنا
حصاد أبيض الوجه اسمه النهار
أو أسوده اسمه الليل.

مع أنني لست أيلاً، ولست غزالاً
لن يقاوم إغراء صيدنا
صياد أبيض اسمه النهار
أو أسود اسمه الليل.

صيادُ أبيضُ يرافقنا
صيادُ أسود يطلق علينا
أن ترتجف يد الأول؟
أن يخطئ الثاني هدفه؟

* * *



المؤسسة العامة
للسورية للكتاب

لن تجدي منافسةً لك أبداً

أحبُ الليلالي كالحَّة سوداء كالبارود.
أحبُ عشِّي العزيز - «تسادا»^(١).

أحبُ كل النساءِ، اللواتي بينهن
لن تجدي قطُّ منافسةً لكِ.

أحبُ أن تبقى القممُ تحت نظري
بين حدودِ السماءِ وحدودِ الأرضِ.
لقد قسمتُ نساء الأرضِ إلى قسمين
أنتِ، ومن بقي منهنِ.

أحبُ أن تحملني القطاراتُ المتلائمة
عبر السهوب المفتوحةِ.

أحبُ كل النساءِ، اللواتي بينهن
لن تجدي قطُّ منافسةً لكِ.

(١) تسادا قريةُ الشاعرِ.

أقفُ على السور الحجري
أو أبحرُ قبلة الشواطئ الغربية.
لقد قسمت نساء الأرض إلى قسمين
أنتِ ومن بقي منها.



المؤسسة العامة
السورية للكتاب

المطر ينهمر أمام النافذة

المطر ينهمر أمام النافذة - أفكر بكِ
الثلج يغمر الحديقة الليلية - أفكر بكِ
يا لوضوح الصباح - أفكر بكِ
الصيف يقرع الباب - أفكر بكِ
تطير نحونا العصافير - أفكر بكِ
تطير عائدةً - أفكر بكِ
اخضرت الشجيرات .
لا أقوى على شيء - أفكر بكِ
لعلك فتاة طيبة
بما أنتي ليلاً ونهاراً أفكر بكِ

* * *

لم أمت بعد

لم أمت بعد. كما أنتي لم أشخ.
لكن تنفسني أصبح أصعب.
أسمع جرساً: عله لي، أفكراً حالاً،
أضع يدي على قلبي، وأصمت حزيناً.
وكما في الحلم ذهبت مع ثلج البارحة
أيام النجاحات والتكرييم، وضجيج النقاش والمديح.
ولكن في هذا القرن ككل حكيم
هناك من يحلم أن يبقى إلى الأبد ممتطياً حصانه.
لن يعش أحد إلى الأبد.
أما أنا - فمعي حب عظيم يسقيني قوة.
ومع أن شبابي قد اخترق
إلا أنتي أشرب كأسه المليء نوراً.
ومع أن العمر والزمن قد اختلفا عن ذي قبل

إلا أن حبي ونعومة حياتي لم تخبي تحت الثلج.

وإن حصل والتقيت امرأة رائعة.

لن أهرب من كرم الحياة.

لن أتلوي بمرونة كالأفعى.

ولن أستطيع الترحلق على الحبل كما لم أستطع سابقاً.

إلا أنتي سأقول للقرن العشرين: لن أستسلم.

فالحب إلى جنبي ولن تغلبني أبداً.

* * *



المؤسسة العامة
السورية للكتاب

أنا متزلف معروف

أنا متزلف معروف لديك
وأنا جاهز في أية لحظة
أن أمشي على الحبل أمام عينيك
وأن أركع أمامك

* * *

أسترضيتك بالقمر والنار
بالزهور والغروب والمرور
لم أعتبرك قط مذنبة ولو لمرة
وأعتبر نفسي المذنب دوما

* * *

لقد تغلبت على الكثرين دائمًا
واعتبرت منذ ولادتي مصارعاً قوياً
لكنني دائمًا أرفع يديّ أمامك
وأعتبر نفسي خاسراً

* * *

فأنا وأغاني لم يسبق لنا

أن تملقا أحداً

لكننا نتملقك دوماً

وننتظر أوامرك لتنفيذها

* * *



الهيئة العامة
للسورية للكتاب

آه يا حياتي...

آه يا حياتي المضطربة.

آمالي وأحلامي.

لست ملكا لي وحدي.

بل ولآخرين أيضاً.

لقد عكرت أحزانني

وآلامي وأمراضي

حياة المقربين لي

واختصرت أيامهم

أما أنا فلم أكن قط

معزولاً عن حياة الآخرين.

فقلقهم ولهفتهم

كانت تخصّني أيضاً.

كانت الآلام الغربية

تطعنُ قلبي بـشكلٍ ملحوظٍ.

ولكنْ ما أَنْ يذبلَ غصنٌ

حتى تتموأْ أغصانٌ

* * *



الهيئة العامة
للسورية للكتاب

إلى المترجمين

شكراً أيها الطيارون الأعزاء
لأنني بفضلكم
رأيت العالم
رأيت بحاره وأرضه وأنا في السماء
* * *

إلى باريس وروما وطوكيو
على أجنحتكم أخذتموني
مع أن بيتي - صخرة بعيدة
وأنا داغستانى الأصل
* * *

فلولاكم
كنت أعيش الآن في الوادي
أحلم بطريق إلى السماء
علني أنظر لمرة واحدة من فوق الغيوم.
* * *

لكن أكثر مما أنا ممتنٌ للطيارين

أنا ممتنٌ للمترجمين

شكراً لكم يا شعراء الأرض

بفضل كرمكم

عرفتُ المناطقُ البعيدةُ

أغنيتني الجلية

* * *

شكراً لأنكم

نفّلتُ لغاتِ أشعاري

إلى لغاتِ أشعارِكم

سمائِكم، سهولِكم، غاباتِكم، بحارِكم

الهيئة العامة
السورية للكتاب

محكمة عالمية

نتعقدُ على كوكبنا محكمة عالمية
يجتمع مجلسٌ عظيم.
دُعيتُ شاهداً إلى هذه المحكمة.
«قل لنا الحقيقة أيها الشاعر
من المذنبُ في ما يصيّبُ الناس من آلام؟
من المسؤولُ عن مصائبهم وفقرهم؟
تحدث وأثبت، وصبّ لنا
على هذه الأحداث المظلمة نوراً».

* * *

محكمة عالمية مجتمعة.
والبشرية تدعو الشاعر لحضورها.
هنا تجتمع مجرمو القرن.
ليسمعوا قرار المحكمة بحقهم.
«ساعدنا أيها الشاعر لكشف أسرار الأحداث

فالعدالةُ - مهمة المحكمة.

حدثنا، ماذا رأيت؟

وماذا خبأت حتى الآن تحت لسانك؟»

* * *

المحكمةُ تجري و السؤالُ يوجهُ لي،
ضميرُ الزمن ضميرُ القرن ضميرُ الأرض.
وأنا أحسُّ بمسؤوليتي أمامهم.

* * *

«هل معلومٌ لكَ أليها الشاعر
كيف يعاقبُ القانونُ بحزمٍ
شاهدَ الزورِ ومن يعطي معلومةً كاذبةً
ليخفي آثارَ الجريمة؟»

* * *

المحكمةُ تجري و أنا أقسمُ،
أن أقولَ الحقيقة، وها أنذا أقولُ:
«معلومٌ لي أن الإعدامَ
- وليس إلا عقابٌ -
يستحقهُ الشاعرُ
إن شهدَ زوراً أو باعَ روحهُ

أو كذبَ دونِ ضميرٍ

أو تلاعبَ متلوياً كالأفعى».

* * *

المحكمةُ تجري و أنا جاهزٌ للجواب

أقول لها هذا القاضي القاسي، الذي لا يعرفُ المحاباة!

«أقسم برأسِي أن هذه الأرض

لن ينchezها إِلَّا الضميرُ والحقيقة.

وأمام هذه الحقيقةِ النظيفةِ

أنا جاهزٌ لأقدم حياتي.

إن الضمير فقط هو إلهي ورسولي»

المحكمةُ تجري... المحكمةُ العادلة تجري.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

لقد رأيت كلّ شيء

لقد جبّت أنحاء العالم.

رأيت لوحاتٍ، سفناً ودور عبادة.

وقيل لي حينذاك

ليس هناك ما لا يستطيع الإنسان فعله.

* * *

جبت العالم ثانيةً رأيت النار تأكل كلّ شيء

اللوحات والسفن ودور العبادة

وقيل لي أيضاً

ليس هناك ما لا يستطيع الإنسان فعله.

* * *

مع سيدةٍ على انفرادٍ

اعذروني يا أصدقائي، لن آتي إليكم
وأرجوكم عدم الاتصال بي
فأنا سأقضي هذا المساء
مع سيدةٍ على انفرادٍ

* * *

سنكون وحيدين، أنا وهي فقط

ستقف عقارب الساعة عن الدوران

ستغمر الموسيقى هدوء الجو

وستعمم السرية

* * *

مزاجي كما الغجر الرحّل

أيتها الأشغال والأعمال، ابتعدني عنِي

سأقضي مسائي

مع سيدة على انفراد

* * *

ليكن خلف الشبابيك غاباتٌ وقطاراتٌ
وليدير ثانيةً رأسي
ولتشعَّ كما النجوم في السماء الحالكة
كلماتنا البسيطة الدنيوية

* * *

سأمزق بطاقة الطائرة

وأخيب أمل المجتمعين غداً

سأقضي ليالي كاملةً

مع سيدةٍ على انفرادٍ

* * *

البيت المعاشر
السوري للكتاب

لماذا يا نفسي

لماذا يا نفسي وأنت تتالمين مشفقةً على الآخرين
تنسين نفسك؟

- إن لم أشفق أنا عليهم فمن سيفعل ذلك؟
وما الذي برأيك سيحصل لها العالم عند ذاك؟

- لماذا، طوال هذا القرن، أيتها الكلمة التي أقولها
تقذين الآخرين وتتركيني؟
- إنس نفسك واعضد غيرك
هذه وصيّة أيامنا الحالية

ليس الحزن جديداً على نفسي
فهي تبعد الفرح العابر جانبًا
ومع أنّ نفسي جاهزة لكلّ شيء
لكني أرجو أن يتأخّر الموت
كي لا أدع الكلمة يتيمةً بعدي
ولا أدع من أحبّهم بلا حب

* * *

صلوة

حين تصعد إلى القمم الزرقاء
حين تلمس قبة السماء باليد
حين تسمع كيف يهدر النهر في المضيق
كم من القرون مرت وهو يغنى الأغنية نفسها
حين ترى الطائر يدور في الفضاء
وفي الشعاب الجبلية المتعرجة تتسلق القطعان
ستصلني للأرض العزيزة
مع أنك لم تصلّ مرة في الحياة

* * *

حين ترى خلف الأفق البحري المليء بالسفن
كيف تبهرت كرمة الشمس
كأن المساء يضع فتيلًا كالحاج في مصباح عظيم
حين ترى الشمس تغرق في البحر

وتشق الماء إلى نصفين

ستتحني مصليا

مع أنك لم تصلّ مرة في الحياة

* * *

سترى كيف يجلس الشيوخ

يفركون شعرهم الأشيب

كيف ترضع امرأة طفلها

وللمرة المئة سيهزّك كل شيء

وكل ما في الأرض والسماء الزرقاء

تريد إدراكه

وحيئذ

ستصمت وتتفجر حَجَرَتُك بالصلة

مع أنك لم تسمع صلاة مرة واحدة في الحياة

* * *

اجتمـاع

اجتمـاع! ضـجيـجهـم وـهـدوـؤـهـم.
كلـمـاتـ، كـلـمـاتـ، مـعـرـوفـةـ مـسـبـقاـ
يـبـدوـ لـيـ أـحـيـاـنـاـ أـنـ كـلـ الـبـلـادـ
مـوـزـعـةـ عـلـىـ اـجـتـمـاعـاتـ مـخـتـلـفـةـ

تـقـلـعـ الطـائـرـةـ، يـنـفـثـ القـطـارـ بـخـارـهـ
يـسـرـعـ المـوـظـفـونـ إـلـىـ مـخـلـفـ الـلـقـاءـاتـ
وـهـنـاكـ تـمـتـأـيـ تـقـارـيرـهـمـ بـالـحـدـيـثـ عـنـ الـحـصـادـ
وـعـنـ تـنـفـيـذـ خـطـطـ الـبـنـاءـ.

يـجـلـسـ الجـراحـ أـسـبـوـعـاـ كـامـلاـ
وـفـيـ مـكـانـ مـاـ، غـرـفـ الـعـمـلـيـاتـ فـارـغـةـ
يـحـشـرـ الـبـنـاءـ أـنـفـهـ أـسـبـوـعـاـ بـيـنـ الـأـورـاقـ
وـهـنـاكـ آـلـافـ الـجـدـرـانـ غـيـرـ الـمـبـنـيـةـ

يجمع الرعاةُ أسبوعاً كاملاً
تاركين القطيع بين أنباب الذئاب
تتوقف الجرائد عن طباعة الشعر
لطبع مقررات الاجتماعات

حدثت فاجعةٌ يحترق بيتٌ في القرية
جدائلُ اللهبِ والدخان تتصاعد نحو السماء
و ضابط الإطفاء في دخان الاجتماعات
يقرع صدره مفعماً بالحضور ، ويسبك ماء الكلمات

في مكاتب المؤسسات ، ومنذ الصباح
يجلس المراجعون مع طلباتهم
والمسؤولون مشغولون طيلة النهار
ونوابهم يكتبون لهم التقارير

عد إلى بيتك يا صديقي الكولخوزي
ولا تتوقع الاهتمام بك
فالجميع مشغولون ولا يستطيعون الاهتمام بك

إنهم يحضرُون التقارير عن الاهتمام بالناس

اجتمـاع! آه لهـذه الأـفواه المـتعـبة
آه لـتشـدقـ الخطـباء الأـشـداء
وـكلـماتـهمـ الـتـيـ لاـ تـساـويـ تـلـماـ فيـ حـقـلـ
لاـ تـساـويـ نـدـبـةـ فيـ كـفـ مـتـشـقـقةـ

أـرسـلـونـيـ إـلـىـ الـحـربـ،ـ أـقـدـمـ رـأـسـيـ فـدـيـةـ
أـرسـلـونـيـ لـأـقـطـعـ أـعـمـدـ الـأـشـجـارـ الـثـخـيـنـةـ
أـمـرـونـيـ بـالـغـنـاءـ وـأـنـاـ سـأـقـولـ
مـالـاـ تـسـمـعـونـ قـطـ مـنـ عـلـىـ الـمـنـابـرـ

أـرـيدـ أـنـ أـعـمـلـ،ـ أـعـيـشـ،ـ أـكـتـبـ
أـخـدـ النـاسـ حـتـىـ آخـرـ نـفـسـ
وـلـكـنـ لـمـ أـسـتـطـعـ إـنـهـاءـ قـصـيـدـتـيـ،ـ ثـانـيـةـ
أـتـوـاـ لـدـعـوـتـيـ إـلـىـ الـاجـتمـاعـ.

* * *

حفيدي الصغيرة شاهري

لماذا تبكين يا زغلولتي؟
ما الذي حصل؟ هل حلمت بمكرود؟
إن لديك أمًا وأباً
وعلى سريرك ينحني الأهل.

* * *

عشت عمري ينتيماً
والحزن لا يُكتب ولا يُخباً
كان من المفروض أن أبكى أنا
أما أنت فلم هذا البكاء الحارق؟

* * *

لم يلسعك أحد بحسده
ولم يمزقك كذب أو خيانة
وأحلى من أغاني والدتك المفعمة بالحب
لم يسمع غناء في العالم.

* * *

أعرف أنا كيف يخون الأصدقاء
وكم من المرات واجهني كره الأعداء.

لم تبكين؟ أنا من يجب أن يبكي.
لقد مزقت الأحزانُ صدري.

* * *

أنت لم تعرفي الحروب والنيران
التي تندفع لإحرار كل شيء.
كم هي هادئةٌ في وضوح النهار المسلح.
تلك السماء فوق رأسك.

* * *

لقد أضعتُ إخوتي في الحرب.
وآلام فقدهم لا تحمدُ قط.

لماذا تبكين؟.. أنا من يجب أن يبكي
لقد واجهتي الحياة بأقسى ما تستطيع.

* * *

وهذا ما أجابتي به حفيدي
ولقد فهمت من لعثمتها:

يا جدي يا جدي كل هذا سوف يواجهني مستقبلاً
وها أنت ذا رغم كل ما عانيت لا تزال على قيد الحياة

* * *

في هذا القرن الرهيب. تغمر المأساة كل العالم.
كيف ستعبر عن اضطرابك وانزعاجك؟
لذا... أنا أبكي يا جدي...
أنا لا أفهم. لماذا لا تبكي أنت؟.

* * *



الهيئة العامة
السورية للكتاب

ماذا أستطيع أن أفعل

ماذا أستطيع أن أفعل

مع هذا الحب؟

هذا الشغف الذي إن ضاع مات كل شيء

هذا الحب الذي تخيفه العوائق والنميمة

كما يخيف التقادع بعض الناس

* * *

هذا الحب الذي لا يوصف بما مُنح من ميداليات

لا يعرف العُطل وأيام الراحة

ولا يعرف شعلة القدر

لا يتركني ولو ساعةً واحدةً

* * *

أنا أُغبط من يجلس وحيداً

بعد تقادعه عن عمله. وها هو ذا يكتب بمنكرياته:

عشت حياتي... وما لدى؟ ..

ولادة .. وموت .. وبينهما حبٌ فقط

* * *

النظرات غير قابلة للفياس

والحواسيب لا تقوى على الحب

أما أنا وصديقي الشاعر محمود في جبالنا

فسنرفع علم الحب عالياً

* * *



المؤسسة العامة
السورية للكتاب

يعبر المارة

يعبر المارة أمامك بهدوء

كأن جمالك لا يلفت نظرهم

لعل بعضهم أصيّب بالعمى رغم أن لهم عيون

آه لو استطعت أن أعيّرهم عيني .

* * *

الهيئة العامة
للسورية للكتاب

مشيت البارحة وحيداً

في الشارع
وقلت في نفسي حان وقت الرحيل
وإن رحلت - فإلى الأبد
ولن أعود إلى هنا ثانية
أكذب لك أنك لست محققاً أبداً
عنفناك على كل أقوالك
وكررت أنتي سأجده أخرى غيرك
يا لك من مشاكسة ويا لسوء حظي معك
وها أنا ذا أبطئ خطوة وأسرع أخرى
وإذا بي أمام بابك

* * *

عندما ستقترب حياتي يا حبيبتي

عندما ستقترب حياتي يا حبيبتي
من حدودها النهاية
سأقول لك في ساعتي الأخيرة
ثلاث كلمات فقط

* * *

ثلاث كلمات... آه لو أجد القوه
لأنزعها من قلبي وأقولها لك
«شكراً على كل شيء يا حبيبتي»

ستكون هذه كلمتي الأولى
* * *

وهل سأستطيع قول الكلمة الثانية؟
إن استطعت لفظها
سأغلق عينيّ تعباً وأقول

«اعذرني على كل شيء يا حبيبتي»

* * *

وأسأهمس الكلمة الثالثة

بعد أن أنتصر على مصيري

«فلتغمرك الصحة الجيدة يا حبيبتي

أتمناها لك دوماً

* * *

وإن حالفني الحظ الطيب

أن أقول شيئاً آخر

فأنا وبعند ومن كل قلبي

سأكرر كلماتي الثالث

* * *

وإن بقي رمق بسيط

سأعيدها مرة أخرى وأقول

«شكراً يا حبيبتي على كل شيء

أتمنى لك الصحة واعذرني»

* * *

ملكٌ من دون بيت

إلى الممثل الداغستانى الذى يلعب دور الملك أو القىصر

على خشبة المسرح، يملك قصرًا ملكيًّا
بل وآلاف القصور وليس واحدًا فقط
إنه - إمبراطور، قيصر، أمير بخارى.
ملك وشاه، مالك للكون

* * *

كلُّ الخدم يدورون حوله
والجميع يقع من السماء على قدميه
والوزراء يقدمون له الطاعة منحنين
وكلهم له خدمٌ أوفياء

* * *

لكن ما أن ينتهي العرض، ويتفرق الحضور
حتى نرى الملك كائناً أرضياً بسيطاً

نراه كل يوم أمام دار المحافظة.

نرى قامته الملكية تدور هناك

* * *

أرجوك أيها الرفيق المسؤول،

لا تترك الملك دون بيت

حتى ولو كان زاوية لسريري

أعطني زاوية تتسع لي ولسريرِ وكرسيِ فقط.

* * *

يتسلم الجواب ليجد فيه

كلمات تقول «البناء قيد التنفيذ

لا بيوت للممثلين

أما الملوك فلا حق لهم بالسكن.

* * *

المطرُ يفعلُ ما يشاءُ

المطرُ يفعلُ ما يشاءُ

لا تحاولُ أن تمسهُ

الريحُ تعصفُ حيثما تريدهُ

كحصانٍ جامحٍ دون لجامٍ

* * *

أما أنت أيها الإنسان

فلست رحِّاً

ولست مطراً

وكلماتكَ يجب أن تتبعَ من القلبَ

موجَّهةً من العقلَ

* * *

أسماؤنا

أعطيت لنا أسماءً منذ ولادتنا

فإنحافظ على نظافتها.

لقد بحثوا عن اسمكِ، بين النجوم

وعن اسمي على طرقات الحروب.

مرت الأيام، إلى أين؟ إلى المجهول.

طارت سريعاً وما يدل على ذلك،

ها قد دعيتِ، خطيبةً

وأنا شاباً شهماً.

همست لكِ بآياتِ الحبِ

واعتبرني الناس شاعراً

إن كنت شاعراً - فأنتِ الأغنية

تلك الأغنية التي تبقى بعد رحيل الشاعر.

ومعنا

طارت السنون قاضمةً حياتنا

يا لسعادتي العظيمة ففي ربيعٍ ما

ناديتني يا زوجي الحبيب.

* * *



المؤسسة العامة
السورية للكتاب

حديث

- قل لي بعد أن صنفت أيامك وأعوامك
أي أيامك كان الأفضل؟

- كانت أسعد أيامي
عندما أحبتني حبيبتي

- ألم يصادفك يومٌ
بكى طواله دون أن تخفي تعاستك؟

- إنه عندما نسيتني حبيبتي
إنه أكثر أيامي سواداً

- لعل حياتك لم تخل
من يومٍ لم تحب به
فالحياة دون حبٌ
أبسط وأهداً

- لعلها أبسط وأهداً
إلاّ أنني لا أذكر يوماً كهذا
في حياتي.

* * *

ولا عن أي شيء آخر

لا أريد سماع كلمة، عن أي شيء آخر.

دعنا نتحدث عن الجميلات فحسب.

كل حديث آخر.. ضجر قاتل.

كل حديث آخر.. ضباب.

كل حديث عن غير الحب.. سرير فارغ.

لا تهز فيه طفلاً. قط.

والحمر دون حبٍ - أقسم لكم بالحب

هو ماء بسيطٌ معكر.

لا أريد سماع غناء عن شيء آخر.

غنوا عن الحب فقط ولو لمئتي عام

حتى الحكايا، تصبح بلا معنى

إن خلت من كلمات عنه

عن الحب تتهامس الطيور فوق رؤوسنا

وحبها تدفأه أشعة الشمس.

حتى الغزلان في الغابات سراً.

تنغنى بالحب فقط.

فإلى عشق الأرض تحن السفن

وهي تتمايل بين الأمواج.

والطائرات في قبة السماء

تحرك أجنحتها معبرةً عن الحب.

فunque و عنه فقط، سأغنى كلّ عمري

وبهذه الأغاني سأنهي حياتي.

لكن - وبعد موتي.

إن صادفتني فتاةً جميلةً، سأغنى.

خلافاتنا البسيطة

خلافاتنا البسيطة

ليست جدية

يستطيع أيّ كان أن يثبت لك ذلك

إذ إننا حتى لا نعرف

كيف نقطبُ جيئننا

وننسى بعد ساعة

أسباب خلافنا

ولا نستطيع إخفاء

تحية عيوننا المبتسمة

يبدو أن هذا الحب العظيم

الذي يخاف أن يدرب دمعة

يحسب كل نسمة بسيطة

عاصفة هوجاء

أم أننا أحياناً

نود دون عناء شديد

أن نهدي لقلبينا المتميّن

لحظة تنفسٍ مريحٍ

* * *

أعطيك يدك

إذا اجتاحتك السعادة يوماً
فعشها دون أن تخبيها
أعطيك يدك.. أعطيك يدك..
أعطيك يدك.. يا صديقي.

إن داهمك الحزن فجأةً
تقاسمه معي وسترتاح حالاً
أعطيك يدك.. أعطيك يدك..
أعطيك يدك.. يا صديقي.

إن عشقت دون حدود
سأكون سعيداً مثلك.
أعطيك يدك.. أعطيك يدك..
أعطيك يدك.. يا صديقي.

إن اتفقت معها
ستكون سعادتي ضعف سعادتك.

أعطي يدك .. أعطي يدك ..
أعطي يدك .. يا صديقي.

إن لاقتك المصائب
سأقاسمك إياها.
أعطي يدك .. أعطي يدك ..
أعطي يدك .. يا صديقي.

إن خرجم في الزوبعة
نادني بقوة كي أسمعك.
أعطي يدك .. أعطي يدك ..
أعطي يدك .. يا صديقي.

إن حملت ضغينةً في نفسك
لا تعرضها علينا.
أبقها كلها لك ..
وأبعد يدك عنني.

السوبرة العامة
السوبرة العامة

* * *

اذهب إلى الطيب....

حين لا ترى كيف يفتح الغصن
وفجأةً يشتعل اخضراراً
وكيف تنظر عبر النافذة
جارٌ بديعةً مبتسمةً

حين لا تسمع نداء الربيع
ينشر التحيات من حولك
للك نصيحتي - هلم مسرع
إلى الطبيب يا صديقي

اعلم، أنك إن لم تستجب مسرعاً
لذناء الشفاه المعللة

أو لم تعد تجيد الدهشة

فإنك - مريضٌ أو غبي

إن لم تكن فرحاً ولا حزيناً

ترافق كل شيءٍ عن بعد

أصم لا تحس رنين السنдан

أصم حتى عن رنين الينابيع

حين لا يسعدك قدوم الأصدقاء

ونزوات قلبك شحيحةٌ

حين تنسى حرية الأنهر البرية

فإنك - مريضٌ أو غبي

حين يغمرك نوم الشتاء

أكان الجو حاراً أم عصفت الثلوج

أو لا تهرع لسباق الخيل

حيث ركض الخيول بديع
عندما لا يعجبك أن الحقول
حرثت في أوانها تحت رعد الربيع

حين لا تقدر قيمة العقل الراوح
وتدخل الأغبياء إلى بيتك

حين لا تسعوك الأخبار
أن مريضاً مستعصياً قد قُهر
 وأنه لم يعد هناك حربٌ ولا ثأر
هل مسرعاً إلى الطبيب يا صديقي

الهيئة العامة
للسورية للكتاب

حين لا يوجد قربك صديقٌ مخلصٌ

- أين اختفت تلك الساقية الشابة

الهادرة بطينين عبر المرج الجبلي؟

- في السهول ضاعت الساقية الشابة

حيث لم تجد إلى جانبها صديقاً مخلصاً

* * *

- وأين ذلك الغزال المزهو السعيد

الذي دوّت أحاديث المناطق عن قوته؟

- سقط في الشرك. ضاع وانتهى

إذ لم يكن قربه صديقٌ مخلصٌ

* * *

- ومن كسر أغصان الحور

التي كانت تحف بعناد؟

- كسرتها العاصفة وحطمتها الزوابعة

إذ لم يكن قربها صديقٌ مخلصٌ

* * *

ما الذي أعادك من طريقك متوجهماً
وما الأفكار التي تناقضك أيها الصديق؟

تألمت مراراً في طرقي هذا
إذ لم أجد إلى جنبي صديقاً مخلصاً

* * *

لم لا تشرب؟
يجيب بنظرةٍ
لا أرى قربي صديقاً مخلصاً
ولم اكتأبْتْ أغزيرتك كزوجة؟
لأنني لا أرى صديقاً مخلصاً

* * *

وبأية أعجوبةٍ لم يتحطم مصيرِي
مع أنني عرفتُ الكثير من الماسي والمصائب؟
لأن سعادتي تكمن في أنني دائماً
أجد قربي صديقاً مخلصاً

* * *

ثلاثة أنخاب جبلية...

لن ننفصل كثيراً ونحن نملأ أكبادنا.
وليصدق صوتنا بالنخب الأولى
«فليعم الخير كل الشرفاء الطيبين
وعلى قدر سفاهتهم فليخسأ السفهاء»

* * *

ولنملأها ثانيةً ولنذكر القول المأثر
الذي يليق بالأنهار الهادرة
«لتكن طفولتنا قصيرةً كلحظةٍ
وليطبل شبابنا لقرنٍ كاملٍ»

* * *

وللمرة الثالثة، لنقرع كؤوسنا معاً
«يا صديق الشرف اشرب كأسك حتى الثما له
فلتمر الأحزان متحاشيةً إيانا
أما أولادنا فسيتحملون أيامهم - آمين»

* * *

وهل هذا رجل؟

من تراه جاهزاً للقهقهة
دون تفكيرٍ وبلا مبالاة
هل هذا رجل؟

من تهيب السيف
ولم يذق يوم حزنٍ
هل هذا رجل؟

من تراه مقطباً حاجبيه بخبيثٍ
وهو يسمع نخبأً
هل هذا رجل؟

من لم يعشق حتى الموت
من لم يقبل امرأةً يوماً

هل هذا رجل؟

من ينْحني لـكُلّ امرأةٍ قائلاً: يا حمامتي
ويلهث خلف كلّ تورهِ
هل هذا رجل؟

من يدّعى المساعدة
وهو جاهزٌ للخيانة
هل هذا رجل؟

من يعبر الباب نحو المائدة
ولا يقوى على شرب كأسه
هل هذا رجل؟

من تراه بين الناس
يشرب الكؤوس دون توقف
هل هذا رجل؟

من يضيع في دروب الأرض قرناً
ناسياً الطريق إلى بيت أبيه
هل هذا رجل؟

من يملأه بعنادٍ مبرمجٍ
حقدٌ محاكمتنا دون رحمة
هل هذا رجل؟

من يعطي كلمة شرفٍ فولاذيةٍ
ويتراجع عنها حالاً
هل هذا رجل؟

* * *

الهيئة العامة
للسورية للكتاب

تحقق العصافير بجوانحها

تحقق العصافير بجوانحها

ثلاث مراتٍ

لتشقّ الريح المواجهة المجنونة

ونحنُ نطيرُ، وشهيقُنا يملأً صدورَنا

ونديرُ سيقاننا مع الصباحِ ثلثاً.

يبدو أن مصائرنا متشابهةً

وكروفِ العصافيرِ خفيفةِ الجوائحِ

ولدنا في الساعة المقدرة لنا

ونموتُ بعيداً عن أعشاشنا.

في الأفقِ نختفي بعفويةِ

عند الغروبِ أو صباحاً باكراً

في السماواتِ أو في أصقاعِ الأرض
أو بين أمواجِ المحيطاتِ المتلاطمَةِ.

تنقاطع ثاقبةُ السماواتِ الزرقاءِ

أغانينا التي لم نتم غنائِها..

نولد كلنا على نفسِ الأرضِ،

ونموت في مئاتِ الأماكنِ المختلفةِ.

* * *



الهيئة العامة
للسورية للكتاب

لا أريد حصاناً

لا أريد حصاناً
رشيقاً أسود
إن لم أسعد
بوجود إنسانٍ قربي.

وأستغني عن النار
وليسفح نبidi على الأرض
إن لم أجده في الجبال
إنساناً جانبي

وستبقى الكلمة - صوتاً فارغاً
لا رنين لها، وليس للغناء
إن لم يكن هناك
إنسانٌ معي

حتى أنعم النساء
ستصبح حمراً
إن لم تبهر بنعومتها
إنساناً ما

وسيجف قلبي في صدري
 كبقايا الماء في البئر
 إن لم أصادف في طريقي
 إنساناً ما

بني روبنسون بيتنا
 فأنقذ وحدته
 أما أنا فساموت فيه
 إن لم أجد إنساناً جانبي

لن تغفر خطاياي
 وريشتني ستكبو كالحصان
 إن لم تجد أشعاري
 من يقرأها.

* * *

احفظوا الأصدقاء

اعرف يا صديقي ثمن العداوة والصداقه
ولا تتعجل الأحكام

فالغضب من الصديق يمكن أن يكون فجائياً
لا تتسرع بصبّ جامّ غضبك عليه

* * *

قد يكون صديقك تسرّع

وأهانك دون عمد

أخطأ الصديق ثم اعتذر
لا تذكره بخطيئته هذه

* * *

أيها الناس نحن نشيخ ونهرم

ومع مرور الأيام والأعوام

من السهل علينا إضاعة الأصدقاء

أما الحصول عليهم فأصعب بكثير

* * *

إن جرح حصانك المخلص قدمه

إن تعذر فجأة ثم تعذر من جديد

لا تلمه بل وجّه اللوم للطريق
ولا تتسرع بالاستغناء عنه

* * *

أيها الناس أرجوكم، بالله عليكم
لا تخجلوا من طيبتكم
فالأصدقاء على هذه الأرض قليلون
احذروا إصواتهم

* * *

كانت لي قوانيني المختلفة
واعتبرت الطيبة ضعفاً
كم أضعت في حياتي أصدقاء!
وكم من الأصدقاء استغنى عنِّي!

* * *

بعدها جرى لي ما جرى
وفي طريقي الشديدة الانحدار
كم ندمت! وكم كنت بحاجة!
لأولئك الأصدقاء الذين أضعتهم

* * *

والآن أنا متعطش لرؤيتكم جميعاً
يا من أحببتموني مرّةٍ
يا من لم أصفح عنكم مرّةٍ
يا من لم تسامحوني مرّةٍ

* * *

رجاء

طلباتي منك لِيُسْتَ كثيرة، يا زوجي العزيزة
أَمَا هَذَا الرِّجَاءُ، فَنفديه بِاللَّهِ عَلَيْكِ

أرجوكِ: قدرِي أصدقاءِ الماضي
كُلَّ من سبقَ وَكُنْتُ عزيزاً عَلَيْهِم
كُلَّ من أَحَبَّتُ وَقَدَرْتُ
مِنْذِ الْقَدْمِ وَهَنْتِ الْآنِ

أَحَبَّيِ النَّاسَ الَّذِينَ مَشَيْتُ مَعَهُمْ
مِنْذِ الْبَدْءِ دَرَوْبِيِ الْوَعْرَةِ الْمُتَرَجَّةِ.
لَا هُمْ مِنْ أَصْبَحَ أَصْدِقَائِيِ الْيَوْمِ
إِنَّهُمْ – بَعْضٌ مِنْ حَيَاتِيِ الْمَاضِيَّةِ.

وَإِنْ بَدَتْ تَصْرِفَاتُهُمْ غَرِيَّةً
لَا تَلْقَيْ لَوْمَكِ عَلَيْهِمْ.
وَاغْفِرْ يِ لَهُمْ هَفْوَاتِهِمْ وَأَخْطَاءَهُمْ الْبَسِيْطَةُ

كما اعتدت أن تغفر لي.

أسرعِي لاستقبالِ الأصدقاءِ يا عزيزتي
افتحي لهم الباب ولا تنتظري نحوهم شذراً
واعتبرِي أن شبابَ الماضي
قد قرع بابنا فجأةً.

لقد فرقنا الموتُ عن بعضِ الآخرين
كما وأبعدتِ الحياة البعضَ عنا
وبعضُ آخر يتصل بكلبةٍ ليطلب حاجةً
ويختفي بعد أن تحل مشكلته.

عاماً بعد عام يتناقص عدنا
آه يا زوجاتِ أصدقاءِ الماضي
تحملوني بما أنكم مضطرون لذلك
إكراماً لأزواجهم الأعزاء.

* * *

عن الصداقة

أنت سعيد جداً لكونك ولسنوات عديدة
تعيش بهدوء دون صراع مع العواصف
ولا أصدقاء لك وهذا يعني أنك أبداً
لا تتقاسم مع أحد السعادة والشقاء

* * *

لكنك حتى ولو عشت مئة سنة
واشتعل رأسك ببياض الحكمة
سأقول لك بجرأة أمام الناس
إنك لم تولد بعد

* * *

هيا يا صديقي

هيا يا صديقي
وكما في الأيام الغابرة
أعزف لنا على البندور^(١)
ذلك الأغنية القديمة.
دولالاي دولالاي^(٢).

لقد صادفتُ الكثيرَ من الأحزان
ولم تكن حياتي جنةً أبداً.
وها قد مضى كلُّ شيء
دولالاي دولالاي.

(١) البندور آلةٌ شعيبةٌ موسيقية.

(٢) مقطعٌ يرددُ في الأغاني الشعيبة.

كم ابتسم لي الحظ
وطالما غمرتني السعادة.
ولكن بريق هذا الكأس قد خبا.
دولالاي دولالاي.

كان عندي كل شيء، وما الذي بقي لي؟
فكر معي قدر ما تستطيع
لقد تبين لي أن الحقيقة تكمن في،
دولالاي دولالاي.

وكل ما بدا مستقراً
انهار فجأة ولم يبق منه سوى
دولالاي دولالاي.

شكراً يا صديقي

شكراً، يا صديقي، على الكذب اللذذ،
لقد أسعدي كثيراً.

لقد قلت لي في الماضي القريب،
أنتي، كما في السابق حاذقٌ وعلى ما يرام.

كالماضي، شابٌ، لم يزرني شيب،
كالماضي، فرحةٌ، قويٌ، ومتين...
شكراً، لقد غمرتني السعادة
لكلماتك التي لا أذهب منها قط.

كما في السابق، حاذقٌ وعلى ما يرام...!
لكن ما ينghost على هذا الإطراء
أنتي لا أستطيع تقاسمه مع أحد، لكنني سرًا أقول...
شكراً، يا صديقي، على الكذب اللذذ.

* * *

يا صديقي القديم

يا صديقي القديم، أنا أؤمن،
أن هذا الثلج سيذوب يوماً
وستعود بشرفٍ
إلى وطنك العزيز.
أسمع صوت إخونتك؟
لم يهربوا مع السنين،
وليس باستطاعتي
بعث من أفل.

ومع ذلك أنا أسمع،
كيف يصدق نداءهم في قلبي:
عد دون بطءٍ
إلى موقد الوالد...
ففي أناشيد الأم
يغنوون عن ذلك،

وأنا أقول هذا مؤكداً
مئة مرة كل يوم:

لا تعرف على الرق
لعاشر سبيل نزل
ولا تقفز راقصاً
لعزف غريب عنك.
ولتتذكرة دوماً: أن تعيش مفارقاً عائلك
أمر مستحيل،
وأعلى من جميع أمجادك
اتحاد الحب المقدس.

يتسلط الثلج... والأمال
تولد مع الشتاء مباشرةً
الأمال بأن الثلج سيذوب
وأن الربيع سيأتي...
لا تذهب بعيداً في الماضي
كي لا تضيع نهائياً -
فالدروب تنتهي
والأزمان تتغير.

* * *

أيتها الصبية الأفارية

أيتها الصبية الأفارية

يا نوري المحبوب

من أساء لك؟

أرى تيارات الدموع الحارقة

تدفع من عينيك السوداويين العظيمتين

* * *

من أدعوا لمبارزةٍ حتى الموت؟

أخبريني

من أحاكم في هذه الجبال العزيزة؟

لتنسيبه بدموعك الحارقة

* * *

لا تتأثر من مسببي أحزاني

فقد قتلوا في الحرب

لقد دافعوا عن وطنهم

إنهم والدي وأخي

* * *

لا تحاكمهم أليها الأفاري

أنا أبكي لأنه

ليس أعز من الأب والأخ

وليس لي أحدٌ منهم على قيد الحياة

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

شكراً لك أيها الشعر

لأنك استوضحت الطريق
لأكثر البيوت بؤساً
وأعطيت الفقراء لغةً
مولودةً من الشعلة المقدسة -
شكراً لك أيها الشعر

* * *

لأنّ الشباب في ساعات الحب
يتهمسون بشفاهم الحارة
بقصائدك الخالدة

ويشربون من نبعك الخالد -
شكراً لك أيها الشعر

* * *

لاستهزأك بأولئك الذين
يدهنون إلى الغنم بالسمن^(١)

(١) يقصد الأغنياء المبذرين ...

ولأنَّ القصائد لم ترخف
أمام أحد على بطونها -
شكراً لكَ أيها الشعر

* * *

لأجل الجمال والحب والشرف
لأجل من غنت لهم أوتارك
لأنَّ للشاعر قاضياً وحيداً -
شعبه الحبيب -
شكراً لكَ أيها الشعر

* * *

لأنك لم تسمح بالسقوط
لمن تكسّرت عظامه
وهو يتسلق الجبال الصخرية
أو ينحدر عن الصخور العظيمة -
شكراً لكَ أيها الشعر

* * *

لست مذنباً أنَّ العالم قد غاص
في الحقد القاسي والعداوة
لو كان باستطاعتك - لغمر الأن
الحب العالم بأجمعه
شكراً لكَ أيها الشعر

* * *

لِلَّهِينَ ..

في الهند السمراء، في نيبال الجبلية
تنتوع مئات الأرباب والآلهة
يا للغرابة أين وقعنا؟ وهل يعقل هذا؟
إن عاداتنا مختلفة تماماً

أما أنا، فكنت ولم أزل
أعبد ربيلاً لا ربأً واحداً
طبيعتهما واضحة حيناً وبهمة أحياناً
وأنا ضائع في هذه اللغة

الأول - إله الغناء
إله الشعر والموسيقى
والثاني - دون شك - إله الحب..
ولن أقوى على شيء دونهما.

لن أقوى على التنفس أو الضحك والبكاء
لن أستطيع تقاسم آخر قطعة من الخبز مع أحد.
ولن أحافظ على نعومة الطفل

في قلبي الرجولي القاسي.

لولا هما، لم يكن قطعاً
ممكناً قدومي إلى هذه الحياة.
حيث يسود الشر، والقهر
الذي تجمع خلال القرون.

نعم، إنه الحب - أغنيتي الأولى
الأغنية - والحب والشغف الأبديان
حتى القلب الميت ينبعث من جديد
إن أراد هذان الإلهان.

فليعتبرني أهل بلدي ملحداً
ف بهذه المغنية الرائعة الجمال
سأقدم قلبي الذي يبعد إلهاين
أسيراً دون أسف ليها الأصدقاء.

في الهند السمراء، وفي نيبال الجبلية
مئه إله أعطيت للإنسان
لن تلوموني بعد الآن كثيراً
إن قمت بزيارة لهذين البلدين.

* * *

وأنا أيضاً كنت خادم العبادة

وأنا أيضاً كنت خادم العبادة
بذلك الصور في مكتبي، بشكلٍ دوريٍّ
أحدُ من كان في الصور سابقاً
علم الجميعَ الخصوّع.

ألفَ شعراً دولَ عديدةٍ
عنه القصائدَ المحذقة.

أما أنا فكان معبوديَ الدائم
بلدي داغستان.

ولم تتبدلُ قط
صورةٌ واحدةٌ في روحي.
تنصاعُ فيها الخرافُ، متضافرةٌ كالغيوم.

ويلفُ الضبابُ سلاسلَ الجبالِ.

فيها مروجُ القمم الشامخة

واندفاغُ التيار الجامح

والوالدُ ممسكاً كتابَ الله

والوالدةُ قربُ الموقدِ.

صورةُ مكللةٌ بإطارِ من الصخورِ

مصورٌ بها أنا أيضاً

شاباً أشيبَ الرأسَ

وقربِي أنتِ يا زوجتيِ.

* * *

الهيئة العامة السورية للكتاب

سأكون سعيداً

في تجوالي في هذا العمر
ماذا أطلب من الحياة؟
في الوجود ثلاثة كنوز

* * *

طلة نسائية أو لاً
ناعمة وفاتنة
ولتكن أينما كنت
معي في كل لحظة

* * *

والكنز الثاني
نصائح خالدة من شيخ عجوز
ربما ستعينني
أن أميز العتمة من النور

* * *

وأخيراً دفق شبابي
وماذا غير هذا أريد؟
دعوا لي ثلاثة كنوز
وسأكون سعيداً

* * *

كم من الشعراء الموهوبين

كم من الشعراء الموهوبين

نسيهم الزمن

لأن قصائدهم المغناة بـإلهام

خلت من ذكر أوطنهم

* * *



وكم من المحاربين الجسورين

الذين نسيهم الزمن

لأن أرواحهم خلت

من آباء وأمهاتِ شجعان

* * *

الطبعة العامة
السورية للكتاب

كم مرّ عليك أيتها العيون

كم مرّ عليك أيتها العيون
من اللحظات الرائعة
أخبريني. ما أجمل الأشياء؟
أجمل الأشياء - خطوة إلى الأمام - بكل تأكيد.

كم من الأصوات أيتها الآذان
تلقت مراراً ومراراً
وما هو أغلى ما في الحياة؟
إنه - كلمة الحق - بالطبع

أيتها الروح
المتعطشة للروائع والآمال
ما أروع ما في الحياة؟
إنه - طفل في سريره -

أيتها القلب كم عرفت في حياتك
من حبّ عظيم
ما أعظم ما عرفت؟
إنه - وطني - النور والبدء.

أتنى الأشعار

أتنى الأشعار البارحة

في سكون منتصف الليل

«قم - قالت لي في الهدوء

نحن ننظرك،

* * *



لن أطركِ من بيتي أيتها الأشعار

لكن زوجتي نائمة

قلت للأشعار هامساً

انتظري حتى الصباح،

* * *

استيقظتُ في ساعة متأخرة

أين الضيوف؟... ناديتهم

أحسبني لم أركم في منامي

بل سمعتكم في يقظتي

* * *

أيتها الأشعار أيتها الأشعار لم يجب أحد

ما هذه المأساة

لعلها استناعت مني

لأنني لم أستيقظ حينذاك

* * *



الهيئة العامة
للسورية للكتاب

عندما يتركك الأصدقاء

عندما يتركك الأصدقاء

يصبح الغرباء أقرب

صباحاً كنت وأصدقائي المقربين بين

ومساءً صار قرببي آخرون

* * *



يا من ترككم أصدقاؤكم. من أين جتتم نحوي؟

أنا الذي تركه أصدقاؤه

عشنا طائشين إلى أن

اصطدمت رؤوسنا بأسطح المنازل

* * *

وبرغم سقوطنا مراراً في المصائد

التي لا نعرف من نصبها

لن أعلن عن قربة الدم

لأنها لم تكن عربيةً منيعةً

* * *

فالصادق الوحيد هو القلب الذي لا يعتريه الشك

والذي يثق حالاً بكلّ كلمة

مع أنه ينجز دماً من جروحه

التي وهبها له القدر مرّةً ومراراً

* * *



المؤسسة العامة
السورية للكتاب

في بعض الليالي الخريفية

في بعض الليالي الخريفية
وقرب الموقد
تجلس أحالمي وذكرياتي التي مضت
يقطر المطر ويفرق الحطب في الموقد
وفوق النار تحنني مرحلتان من عمري.

* * *

تجلس أيام طفولتي التي انقضت

وشبابي المبعد مع ربيعه

آمالي وذكرياتي

كولد مع أبيه يتهمسان.

* * *

ها قد أشعلنا النار، إنها تحرق بحماسة

كي تملأ الجميع دفأً ونوراً

وقرب النار تجلسان متلاصقتين

تعاسة الحاضر والسعادة التي ابتعدت

* * *

عزيزتان على قلبي دون مواربة

مرحنا عمرىجالستان قرب النار

ليس لي الحق بأن ألوم مصيرى على شيءٍ قط

بل هو صاحب الحق بلومي على أشياء كثيرة.



* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

التصنيف

لقد صفقنا.
حتى تألمت أكفنا.
حدث في السنوات التي مضت
أن احمرت أكفنا كخدود خجلاً
ضربناها بشدة ورغبة.

كم ضربنا أكفنا بنشوة!
حماساً لكلمات المديح أو التسفيه
ولو كانت أكفنا أجنحةً
فما أنا إلاّ غبيًّا لوح بجناحيه.

«فليعيش»

صرخ أحد المحاضرين عن المنبر ممجدًا

«فليسقط» -

نادي غاضباً

وأشتعلت الأكف مصفقةً لتملأ القاعة

حباًً لمن مدحه المحاضر

وقداً على من لعنه.

قفزنا ناهضين لنصفق وقوفاً

ضجت قبب القاعات ولم تزل

أحس كل جبانٍ انه بطلٌ

وتخيلاً أن المعارك قد اندلعت

ظننت أنني حققت كلَّ هذا المجد

وأنني أنا الذي أضرمت كلَّ هذه النار

حين كنت أضرب كفي اليسرى على اليمنى

ثم أضرب اليمنى على اليسرى

صافت وضربت الأرض بقدميَّ

مرغماً أو بكمال إرادتي لكن حتى الإشباع

لعلني أضعت كلَّ شبابي في التصفيق

أو الجزء الأكبر منه.

تعرضت في حياتي لإعادة تصنيعِ

ولا قتي مختلف أنواع الخير والشر
صفقت حتى طارت عقارب ساعتي
ومضي الزمن.

لقد كبرت، ولست أخفي سراً
إنني أصفق، ولكن ليس كالسابق
أصفق نادراً لبطل ما
أو لراقصٍ مبدعٍ في حفلٍ عرس.

أما الأهازيج التي أسمعها في هذا الكون
فأقسم أنها تكفيني
فأنا أسمع المطر يقرع الأسطح
والريح تصدق لقدوم الربيع.

أسمع، في مكانٍ ما تترافق الأنهر
أسمع الأوراق تصدق على الأشجار
سعيدة لأنها ولدت على هذا الكون
أسمع الحشائش تصدق في الوديان
وكذا أشجار السنديان الأخضر

على منحدرات الجبال

لا تصفق بشكلٍ أعمى، أو لمجد أحدٍ ما

ولا لأن جارها يصفق.

* * *

المؤسسة العامة
السورية للكتاب

سينهمك العارفون

سينهمك العارفون

الذين سيهتمون بكتابة تاريخي

يوما بعد يوم بتقسيم حياتي

إلى فترات ومراحل وأجزاء

* * *



إن حياتي من البدء حتى النهاية

مقسمة إلى قسمين

قسم قبلاك يا حبيبي

ومعك قسم آخر

* * *

كل أشعاري وقصائدي

كل ما كتبه في عمري القصير

سيقسمه العارفون

وسيوزعونه على الرفوف المختلفة

* * *

أما أنا فسأقسم إلى قسمين

كل ميراثي المتواضع

أبيات شعر عنك يا حبيبي

والقسم الآخر - كل شيء آخر

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

تقرير إلى المؤتمر

غداً سيكون نهاري صعباً

وسلقي تقريراً في المؤتمر

كم أود أن أستدعى الطبيب إلى المنزل

وأخذ تقريراً طبياً

بساطة، أحياناً لا أجد مخرجاً آخر

من يستطيع أن ينصحني؟

هل أشتري بطاقة طائرة؟

هل أختبئ في قريتي؟

يقال إن هناك طريق آخر

حيث يكتب للمؤتمر

تقريري - أحد غيري

وهذه طريقة متبعه

لكنني لا أقوى على هذه الخطئه

ولن أقرأ ما كتبه الآخرون مدعياً أنه كتابتي

أنا أقرأ ما أكتب فقط

وأتمنى أن يسمعني الناس..

أرجوك يا عزيزتي

أنقذيني بنصيحة ملائمة

سأتصرف كما تأمرني

ولن يساعدني أحد سواك

استمعي إلى رجائي

وقولي ما يجب أن أقرأ

فأبكياتي التي كتبتها لك

تعرض عن تقرير من مئة صفحة

* * *

المؤسسة العامة السورية للكتاب

كبيرنا

المائدة جاهزة
ويتجمع الضيوف
ماذا ننتظر؟
ها قد تجمعنا
لماذا لا نجلس إلى المائدة؟

لماذا؟

- ننتظر كبيرنا.
كل الاحترام له.

كنا في الجبال

نعتبر الأكبر بيننا

من عبر أنهاراً أكثر

من مشي طرقاً أطول

إنه كان كبيرنا

وله الاحترام الدائم

أما الآن فقد أصبحوا
يعتبرون الكبير
ذا موصفات مختلفة
فالاحترام حسب الرتبة
بكل بساطة
لكن أين الجواب؟
«ننتظر كبارنا»

لا نعرف لماذا لم يصل..

لكن من كان الأكبر؟

في ماضي الزمن

لقد كان المقياس موحداً

في ذلك الزمن:

من رأى أكثر نجوماً!

أما الآن فالأكبر

من يشغل المنصب الأعلى.

سألت صديقاً

مساعدةً

فأجابني حالاً

«أسأل كيبرنا»

ليس ذاك

الأكبر عمرًا!

(بل ذاك الذي

لا يستحق فرشاً)

كانت ستحل القضية

في الصباح

إلا أنها تبخرت

وذهبت مع الريح

فأعلى من الكبير

كبير آخر

وأعلى من الآخر

آخر أيضاً

لن أطلب نصاً

من صديقي هذا

كان كبيرنا دوماً
من زرع الأفكار العقيرية
من امتاز بشجاعته
وأبدع في عمله
لا بعلاقاته أو رتبته
ولا بمنشئه العائلي
أما الآن
فالأكبر هو ذو الرتبة الأعلى
ورغم كونه لا يستحق ذلك
إلا أنه يطالب دوماً
أن يخدم دون تذمرٍ
من يريد أن يكون كبيرنا
يجب أن يستحق ذلك.

طبيبتي

يا طبيبتي الشابة، عندما كنت مريضاً
لم تتركيني لحظةً
ولكن حين غادرت المشفى
رميتي جانباً كيتي

* * *



كم ألم أن أمرض ثانيةً
وأعود إليك إلى المشفى وأبلغ الدواء
ليس لي طريق آخر لأراك
للتتابع قراءة مزاحنا هذا

* * *

كنت أخذت بيدي معصمك
أعد نبضك وأعاين رقص قلبك

لست عالماً بالطب

لكنني متبحرٌ بالعيون الزرقاء

* * *

لا تحدثيني عن الأمراض يا عزيزتي

إن مثلي يعالجهم الجمال

ولا منقذ لي غيره قط

يا طبيبتي الشابة زرقاء العينين



* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

إلى أغنيتي

عندما يزورني المرض.

كوني الطبيب الماهر

عندما تقترب شيخوختي بهدوء.

اقطعي الطريق أمامها.

حدثني من جديد عن الحب.

عندما أصاب بالعمى والطرش

انطقني باسم حبيبي

فيعود لي سمعي ثانية.

عندما تحين ساعتي الأخيرة.

كوني شاهدة لقبري

ليس عندي أية أمنية أخرى.

غير ذلك.

* * *

إن كنت صديقي

إن كنت صديقي، فها هو مدخل بيتي
ينتظرك مبعداً كل الضباب عن طريقك
إن كنت مريضاً من شدة العطش
فها هو نهري - أصبح لك

* * *

حتى إن غطت الظلمة ساحة منزلي
سأستقبلك ما إن تعطني إشارة
ها هو ذا خبزي وورودي ونبيذي

كل ممتلكاتي - لك يا صديقي
* * *

إن كنت تشعر بالبرد - اقترب من الموقد
سأزيد النار حطباً
إن كنت جائعاً - لا تندمر، سأساعدك

سأقسم كسرة الخبز بيّني وبينك يا صديقي

* * *

إن بدأت تذوب كشمعةٌ

لا عناً الجراح والمرض

سأتيك بالطبيب حالاً

وسأقدم لك دمي يا صديقي

* * *

إن كنت خائفاً، خذ خنجرى

احمله على خصرك

إن كنت ضجراً

سنطرد الضجر وإياك معاً

* * *

إن سقط حصانك، فها هو حصاني مسرجاً

اقفز إليه مسابقاً الريح وفي أحلك الأيام

إبق لي صديقاً وفيما مخلصاً

إن كنت ممتنعاً حصاني أو كنت تحته.

* * *

إلى أين يا شبابي؟

- يا شبابي أين تمضي؟

- أنا أتعقب آثار آمالي.

- ومن يمضي في طريق آخر؟

- كلُّ البشر تقود برسن آمالها.

★ ★ ★
- يا شبابي، خلف مَاذا تركض؟

- أتعقب آثار أحلامي.

- وهل لحق أحدٌ بآحلامه؟

- ربما نعم وربما لا.

- يا شبابي، من إلهك؟ قل لي.

- عندي إِلَهٌ واحِدٌ - إنه الحب.

- يا شبابي، لا يحالف الحظُّ الجميعَ في الحب.

- أصلِي للحظ وهو لا يعارضني.

- يا شبابي، لقد اخترت طريقاً طويلاً.

- علَك أنت لا تؤمن أنك ستصل.؟

- أؤمن.

- وما كنه إيمانك هذا.؟

- انظر إلى الخلف، وعندَها ستفهم.

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

حتى أولئك الذين لم يبق لهم

حتى أولئك الذين لم يبق لهم

سوى خمس دقائق، يرون بها النور.

تراهم يتسللون يريدون الخروج من جلودهم

كأنهم سيعيشون مئات أخرى من السنين.

* * *

وهناك في الأفق، بصمت، ومنذ مئات السنين.

جَالٌ تنظر إلى البشر الصالحين

جَالٌ جمدت بحزن وصرامة

كأنها ستعيش خمس دقائق فقط

* * *

لست أَعْجَبُ، وَلَمْ أَعْجَبْ؟

فمن المعلوم منذ القرون

أنَّ السُّمَّ والنَّمِيمَةُ وَالْكَذَبُ

تُصِيبُ الْإِنْسَانَ فَتُقْتِلُهُ

* * *

أَمَّا مَا لَا أُسْتَطِعُ فَهُمْ هُوَ :

لِمَاذَا يَحْصُلُ أَحْيَانًا؟

أَنَّ الْحُبَّ وَالْحَقِيقَةُ وَالْخَمْرُ

تُقْتِلُ الْإِنْسَانَ أَيْضًا



* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

لو لم تغنّ لي أمي أغانيها

لما كان عندي لغة عزيزة
واسمٌ خاصٌ بي وصوتُ، ووجه
لكنتُ في رحلاتي البعيدة
أضعتُ طريقي كقطيع غنمٍ في الفضاء...
وأنتَ أيها الحب العظيم، لما اشتعلت داخلي -
بهذه القوة وهذا الشغف بهذه النعومة وهذه الجرأة.
لو لم تغنّ لي أمي أغانيها
وهي تهتزّ سريري كقاربٍ على الأمواج.

أغاني العصافير هذه في محيطات السماء
فوق شعاب أوتار قيثارات المطر
رائحة أوراق الشجر الطرية، والخبز الحبيب
المرفوع مباشرةً عن الزوايا الحية المشتعلة -

من أين كانت لي القوة الكافية
لأملاً قلبي من كل هذا
لو لم تغنِّ لي أمي أغانيها
وهي تهزّ سريري كقاربٍ على الأمواج.

هل كان لهذا العالم أن يكون عزيزاً
ولهذه الحياة أن تكون غالياً، لتعلق بها مرتاحفين
هل كان للإنسان أن يكون محبوباً
لدرجة تجعلك تشدّه إلى قلبك
هل كان للزمن، الخالد والآني
أن يتدفق ويمتزج ويغلي هكذا داخلي -
لو لم تغنِّ لي أمي أغانيها
وهي تهزّ سريري كقاربٍ على الأمواج.

* * *

كنت قد أصبحت يافعاً

كنت قد أصبحت يافعاً

حين ولدتِ

كنت حينذاك أعرف كلّ حدائق الحي

و كنت أذهب إلى الصف الأول

وعندما كانت أمك

تشغل لسببِ ما

كانت تدعوني كي أهتم بكِ

ومع أنها لقاء هذا

كانت تقدم لي الهدايا

أذكر جيداً أنني

كنت أموت ضجراً أمام سريركِ

ركضت السنون

ومرةً أخرى عدت إلى قريتي الحبيبة

ما أجمل جدائلكِ

كم كبرنا سريعاً

وها آنذا كما في الطفولة أنتظر

أن تدخل وдتكِ

وتدعوني كما في السابق

للاهتمام بكِ

ل كنت أنا الآن

سأحمل لها الهدايا

أنا أنتظر .. فلتفتح الباب فقط

يا لروعه اهتمامي بكِ الآن

الهيئة العامة
السورية للكتاب

غالباً ما أفكـر

غالباً ما أفكـر

أن الأرض كلها وطني . . بيـتي

أينما وجدت المعارـك والنـار ورـعد المـدافـع

يـحـرـقـ بيـتيـ يـحـرـقـ بيـتي



أـيـهـاـ القـرـنـ العـشـرـينـ

لـقـدـ أـصـبـحـتـ مـصـيـرـاـ لـجـسـديـ

تـتـحـارـبـ السـنـوـنـ فـيـمـاـ بـيـنـهـاـ

وـأـيـنـماـ وـجـدـتـ رـعـودـ المـدـافـعـ وـالـنـارـ وـالـمـارـكـ

نـحـرـقـ وـإـيـاـكـ يـاـ قـلـبـيـ

* * *

كي نعبر ما يعترضنا

كي نعبر ما يعترضنا

من عقبات بسلامٍ.

في طريقنا نحو الهدف السامي.

نحتاج صديقاً.

وضعاً نفسياً مرتاحاً

في جسم يتمتع بالصحة.

وأغنية تصحبنا كنجمةٍ

* * *

من لم تلقه

فرسه الرشيقه عن كفيها مراراً

لن يصبح فارساً

* * *

من لم يتلف بعضاً من أشعاره

من يخرس أمام السطور ولا يقوى على شطبها

لن يصبح شاعراً

* * *

من يسقط أمام مأساه

لن يعرف يوم سعاده.

من لم يعرف خوفاً في الدرج الصعب

سيظل جباناً

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

وداع

وقفت على درج القطار
ومددت بمرح يدي موعداً صديقي
مع الفرح والضحك ودع أحدنا الآخر
وها أنا أرى من نافذتي أعمدة الهاتف تتتسابق

* * *

غزت وغزت وفجأة صمت
هاجمني الحزن متأنراً
ولفني حنين إلى ذلك الصديق
أصبحت لا أرى دخاناً ولا أسمع صفيرًا
لا جبال ولا شواطئ حولي
بل وجه صديقي خلف زجاج النافذة

* * *

اللقالق

يبدو لي أحياناً أن الجنود
الذين لم يعودوا من الحقول المغطاة بالدم
لم يدفنوا في أرضنا حينذاك
بل تحولوا إلى لقالق بيضاء
وحتى هذه اللحظات، ومنذ ذلك الزمان البعيد
يطيرون ويرسلون لنا الأصوات
أليس لهذا غالباً وبحزن
ننظر صامتين إلى السماء
واليوم وقبل الغروب
أرى هذه اللقالق في الضباب
تطير بتشكيلتها المعهودة
كما كانت تسير على الأرض حين كانت بشرأً
تطير لقطع طريقها الطويل

وتصرخ بأصواتٍ ما
أليس من أصوات اللقالق
وخلال القرون تجمعت اللغة الآفارية^(١)
يطير ويطير عابراً السماء
هذا السهم التعب
يا أصدقاء الماضي ويَا أحبائي
إن في تشكيلتكم هذه فراغاً ضيقاً
لعله مكانٌ مخصصٌ لي
سيأتي يومٌ ومع سرب اللقالق
سأطير في لحظاتٍ كهذه
ومن السماء العالية سأناديكم كالطيور
يا من تركتكم على الأرض.

* * *

(١) لغة الشاعر.

لو أعدَّ ألفَ رجلٍ في هذا العالم

لو أعدَّ ألفَ رجلٍ في هذا العالم

ليرسلوا إليكِ طالبين يدكِ

اعلمي أنَّ من بين أولئك الرجال

سأكون أنا.. رسول حمزاتوف

لو أسر حبكِ منذ زمن

مئة رجلٍ جاعلاً دماءهم تغلي

ليس من الصعب ولا يحتاج عبقرية

العثور بينهم على جبليٌّ يدعى رسول

لو عشقكِ عشرةٌ من الرجال

ال حقيقيين الذين لا يخافون نار قلوبهم

بينهم متلوياً متحسراً

سأكون أنا رسول حمزاتوف

لو وجد شخصٌ واحدٌ

فأقدِّ عقله بسببكِ

اعلمي أنه هناك في القمم الملتفة بالغيوم

الجبلِي المدعو رسول

لو لم يكن أحدٌ يُعشقكِ

وتعانين من الوحدة

سيعني هذا أنه تحت أواح الصخور الباردة

مقبورٌ في الجبال.. رسول حمزاتوف.

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

أريد إعلان حبي

أريد إعلان حبي
لذلك البلاد
التي يعيش أهلها بسلامٍ ودفءٍ
والتي يبدأ نشيدها الوطني بجملة
«الحب أعلى القيم على الأرض»
وليغرنَّ هذا النشيدَ الرائعَ جميعَ الناسَ وقوفاً
وللتظرَّ هذه الأغنية لتملاً السماء
وليصلَّكَ شعارَ هذه الدولة
أيادٍ متماسكةٍ الواحدة بالآخرى
وفي علمٍ هذه الدولة
لتدخل جميعَ ألوانَ الأرض
وليدخلَ بينَ هذه الألوانَ
اللقاءُ والفارقُ، القوةُ والضعفُ
أريد من جميعِ قبائلِ الأرض
أن تطلبَ اللجوءَ إلى بلادِ الحبِّ هذه.

* * *

كلنا سنموم

وليس بيننا خالدون

هذا أمرٌ مسلمٌ به وليس جديداً

ولكننا نعيش لنترك أثراً

بيتاً، درباً، شجرةً، كلمةً



لن تجف جميعُ السوافي

ولن يلغى الزمنُ جميعَ الألحانُ

فالسوافي تزيد قوة النهر

والأغنية تزيد عظمةً مجدنا.

* * *

قرب الموقد

أبواب الموقد مفتوحةٌ والفحm يتوجه
آجر الموقد ساخنٌ والنار تستعر بهدوء
أنظر إلى اللهب ويخيل لي
ليس هذا فحمٌ يشتعل بل نجومٌ تتلألأ
* * *

نجوم الطفولة تشتعل نجوم سمائنا العزيزة
أجلس قرب النار ويبدو لي
كأن حكايا والدي عادت لتسمع ثانيةً
وأغاني والدتي ترن في الهدوء
* * *

انتصف الليل خمدت النار وأغلقت أبواب الموقد
لا نار لا دخان ولا أحد قربني
ما الذي بقي؟ الدفء الداخل إلى القلب
أغاني الوالدة وحكايا الوالد
* * *

في قريتي يسكنُ

في قريتي يسكنُ
إلى جوارنا شيخُ
جلستُ معه مرة قرب ضفة النهرِ
سألته: قل لي كم من السنينِ
سيستمرُ الحبُّ مجاتحاً قلوبنا
أجاب الشيخُ إنه لا يعلمُ
رغم أن الشيبَ غطاءُ بالياضِ
وقال لي أن أسأل من يفوقه سنا
وحتى الآن لم أجد جواباً

* * *

أما أنا وإن شئتُ
وخطاني الشيبُ

لن يهرم حبي أبداً

وسيفي حبي يدفك

بنفسه دائم الشباب

وإن سألني أحدٌ إلى متى سيفي

هذا الشعاع المنعشُ يشتعلُ حبٌ؟

فإنني مثل جاري الشيخ

سأجيب الجميع: اعذروني لا أدرى

اسألوا من يفوقني سنا

* * *

المؤسسة العامة السورية للكتاب

ها أنا ثانيةً أرى ذلك الجندي

ها هو ثانيةً يدخل المعركة بوجهه الملفوح
أراه حقيقةً، وأنا كامل الصحو.. لست نائماً
إنه هو - أحد الملائين العشرين من الجنود
الذين لم يعودوا من الحرب
صديق مدرستي الذي لم يفارقه الحلم يوماً
في أن يدخل الجامعة ويصبح طالباً
ذلك الذي استشهد على ضفاف الدينير أو الألب
ها هو ثانيةً أمازي
تابعت الأعوام وتعاقبت دون كلل
عشرةً، عشرون، ثلاثون، أربعون عام.
خرج من قبره، من مقبرة الجندي المجهول.
ألقى نظرةً على هذا العالم.

وتوجه نحو منطقته العزيزة

ذلك الشاب الدائم الشباب

الذي لم يبق له أبٌ أو أم

والشيب غطى رأس خطيبته منذ زمن

لم يتنكره بعض الناس

كما لم يستطع بعضهم إخفاء دموعه

إذ رأوا فيه ولدهم أو زوجهم أو أخاهم

رأوا فيه كل من لم ير وهم منذ الزمن البعيد...

تسكع في الوديان وعلى ضفاف الأنهر

يسمع الأغاني والحكايات

يدخن بصمتٍ وينكلم برويةٍ:

«لقد تغير العالم والزمن كثيراً»

وقفت أمام الجندي الجبال متعددة الرؤوس

وقف الناس مختلفي الوجوه، وقف المدن..

«كلاً لم يتغير الناس، ولم تتغير الأخلاق»

والجبال على ما كانت، والسعادة والشقاء أيضاً..»

وها هو ينحني فوق سرير طفلٍ -

لن يصبح أباً يوماً..

تنزل الصبايا نحو الوادي -

لن يحبهن يوماً..

وعلى تجاعيد وجوه الشيوخ

ينظر المقاتل الذي سقط في أرضٍ غريبة

بعيداً عن قمم أجداده

المقاتل الذي لن يعرف وجهه التجدد

فيرى أمام عينيه

داغستان، روسيا، يرى العالم كله.

«هل تغير كل هذا العالم الذي

تفتح وأزهار، عمّه الضجيج والضباب أمام ناظري

ساده الأمل والقلق

وخلط الضباب والمطر والضوء».

يشرب الجندي من الينبوع كما في السابق

كما كان منذ عشرات السنين

ويشكري ويشرب العالم كله، يشكري منطقته الجبلية

لأن الجميع يحفظون ذكراه...

إلا أنه فجأة: يرى أمامه قلقاً أسود

يرى نظرات الأمهات التي مازالت تشتعل قلقاً

نظر حوله، رأى الشر يعم العالم

تقابل مع الأطفال اليتامى

بارتكب وانزعاج

وبحزن شديد صمت طويلاً

وانغمس ألم في عمق قلبه

كضباب في الوادي. وأن هدوء عميق

دُهش المحارب» هل يعقل

ألم تنتهِ الحرب بعد؟

بعد كلّ هذه الآلام التي لا تطاق

بعد (بوخينفالد وهiroshima) -

أيعلم حتى الآن

وجود مكان للشر والعنف

في قلب ما على هذه الأرض.؟

وهل هنالك أقدس من صدقة الدم

والتي عمّدت بالدم

وهل نسي العالم نار الأخوة

التي اشتعلت على قمة (الألب) ؟

آه لن يسمح واجبي العسكري -

أن تأكل النيران كل شيء

فأنا لم أدفع عن الأرض فحسب -

بل عن الحقيقة، والرأي، عن الحكمة، والطيبة.

عن العالم الذي أقبله إن عمه السلام

وسأبقى على موقفي

وباسم جميع من سقط في الحرب
دفاعاً عن الشرف والأخلاق والحب
أوصيكم أن تحافظوا على ما سقطنا من أجله
وهل ممكن إحصاء حجم تلك الخسارة؟
لن يغوضها لنا شيء للأبد...
وهل قليل عدد من قتل على هذه الأرض؟
وعدد من تشوه؟
لكن الدماء ما زالت تسيل والقتلة ما زالوا أحياء
وهل لهذا نهاية يوماً؟
وها هي الانفجارات تعود لتسمع من جديد»
مشى الجندي في طريق العودة
وبهدوء تعاقب الشروق والغروب
يسبحان فوق رأسي
وفي الليالي أرى ذلك الجندي:
يندفع ثانية إلى المعركة...

تفوح منه رائحة البارود

وهو يدافع عن السلم والطيبة

الجndي الذي استشهد على قمة الألب البعيد
أو على شاطئ الدانوب أو الدنبر.

* * *

المؤسسة العامة
السورية للكتاب

N

الصفحة

| |
|---------------------------------------|
| ١ - مقدمة ٥ |
| ٢ - عندما أجوب العالم البعيد ٢٧ |
| ٣ - لكل إنسان يوم ولد فيه ٢٩ |
| ٤ - مع أنني لست زنباقة ٣١ |
| ٥ - لن تجدي منافسة لك أبداً ٣٣ |
| ٦ - المطر ينهمر أمام النافذة ٣٥ |
| ٧ - لم أمت بعد ٣٦ |
| ٨ - أنا متزلفٌ معروفٌ ٣٨ |
| ٩ - آه يا حياتي ٤٠ |
| ١٠ - إلى المترجمين ٤٢ |
| ١١ - محكمة عالمية ٤٤ |
| ١٢ - لقد رأيت كل شيء ٤٧ |
| ١٣ - مع سيدة على انفراد ٤٨ |

الصفحة

| | |
|----|----------------------------------------|
| ٥٠ | ١٤ - لماذا يا نفسي |
| ٥١ | ١٥ - صلاة |
| ٥٣ | ١٦ - إجتماع |
| ٥٦ | ١٧ - حفيدي الصغيرة شاهري |
| ٥٩ | ١٨ - ماذا أستطيع أن أفعل |
| ٦١ | ١٩ - يعبر المارة |
| ٦٢ | ٢٠ - مشيت البارحة وجيداً |
| ٦٣ | ٢١ - عندما سقترب حياتي يا حبيبي |
| ٦٥ | ٢٢ - ملك من دون بيت |
| ٦٧ | ٢٣ - المطر يفعل ما يشاء |
| ٦٨ | ٢٤ - أسماؤنا |
| ٧٠ | ٢٥ - حديث |
| ٧١ | ٢٦ - ولا عن أي شيء آخر |
| ٧٣ | ٢٧ - خلافاتنا البسيطة |
| ٧٤ | ٢٨ - أعطني يدك |
| ٧٦ | ٢٩ - إذهب إلى الطبيب |
| ٧٩ | ٣٠ - حين لا يوجد قربك صديقٌ مخلص |
| ٨١ | ٣١ - ثلاثة أخاب جبلية |

الصفحة

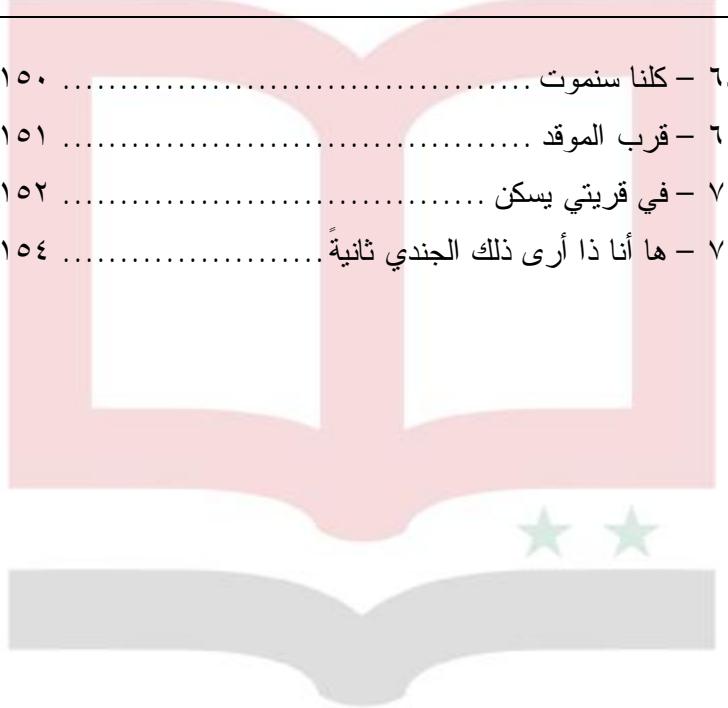
| | |
|-----|----------------------------------|
| ٨٢ | ٣٢ - وهل هذا رجل؟ |
| ٨٥ | ٣٣ - تخفف العصافير بجوانحها |
| ٨٧ | ٣٤ - لا أريد حساناً |
| ٨٩ | ٣٥ - احفظوا الأصدقاء |
| ٩١ | ٣٦ - رجاء |
| ٩٣ | ٣٧ - عن الصدافة |
| ٩٤ | ٣٨ - هيا يا صديقي |
| ٩٦ | ٣٩ - شكرأ يا صديقي |
| ٩٧ | ٤٠ - يا صديقي القديم |
| ٩٩ | ٤١ - أيتها الصبية الأفارية |
| ١٠١ | ٤٢ - شكرأ لك أيتها الشعر |
| ١٠٣ | ٤٣ - لإلهين |
| ١٠٥ | ٤٤ - وأنا أيضاً كنت خادم العبادة |
| ١٠٧ | ٤٥ - سأكون سعيداً |
| ١٠٨ | ٤٦ - كم من الشعراء المهووبين |
| ١٠٩ | ٤٧ - كم مر عليك أيتها العيون |
| ١١٠ | ٤٨ - أنتي الأشعار |
| ١١٢ | ٤٩ - عندما يتركك الأصدقاء |

الصفحة

| | |
|---------------------------------------|-----|
| ٥٠ - في بعض الليالي الخريفية | ١١٤ |
| ٥١ - التصفيق | ١١٦ |
| ٥٢ - سينهمك العارفون | ١٢٠ |
| ٥٣ - تقرير إلى المؤتمر | ١٢٢ |
| ٥٤ - كبيرنا | ١٢٤ |
| ٥٥ - طبيتي | ١٢٨ |
| ٥٦ - إلى أغنيتي | ١٣٠ |
| ٥٧ - إن كنت صديقي | ١٣١ |
| ٥٨ - إلى أين يا شبابي؟ | ١٣٣ |
| ٥٩ - حتى أولئك الذين لم يبق لهم | ١٣٥ |
| ٦٠ - لو لم تغرن لي أمي أغانيها | ١٣٧ |
| ٦١ - كنت قد أصبحت يافعاً | ١٣٩ |
| ٦٢ - غالباً ما أفك | ١٤١ |
| ٦٣ - كي نعبر ما يعترضنا | ١٤٢ |
| ٦٤ - وداع | ١٤٤ |
| ٦٥ - اللقالق | ١٤٥ |
| ٦٦ - لو أن ألف رجل | ١٤٧ |
| ٦٧ - أريد إعلان حبي | ١٤٩ |

الصفحة

| | | |
|-----|-------|--------------------------------------|
| ١٥٠ | | ٦٨ - كلنا سنمومت |
| ١٥١ | | ٦٩ - قرب الموقد |
| ١٥٢ | | ٧٠ - في قريتي يسكن |
| ١٥٤ | | ٧١ - ها أنا ذا أرى ذلك الجندي ثانيةً |



المكتبة العامة
السورية



الهيئة العامة
لنشر وطبع الكتب
السورية



الطبعة الأولى / ٢٠١٠

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

الهيئة العامة
للسورية للكتاب

مكتبة الكتب
الرسمية العامة لسوريا للكتاب

قصائد مختارة من أشعار رسول حمزاتوف



ترجمة: د. مسحوق مسحوق



www.syrbook.gov.sy

مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٠

سعر النسخة ٩٠ ل.س أو ما يعادلها